دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	تحليل النظم في علم السياسة
المصدر:	مجلة كلية الحقوق للبحوث القانونية والاقتصادية
الناشر:	جامعة الإسكندرية - كلية الحقوق
المؤلف الرئيسي:	محمد، عبدالغفار رشاد
المجلد/العدد:	ع 1
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1992
الصفحات:	49 - 112
رقم MD:	142041
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo, EcoLink
مواضيع:	النظريات السياسية، النظم السياسية، العلوم السياسية، الفكر السياسي، النظم السياسية، تحليل النظم، ايستون ، ديفيد، القرارات السياسية، السلطة السياسية، التنمية السياسية، دويتش ، كارل، سبيرو ، هربرت، كابلن ، مورتن، السياسة الدولية، الفكر السياسي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/142041

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

تحليـــل النظـــم
فـــى علـــم السياســـة

للدكتور / عبد الغفار رشاد محمد

خلاصـــة

هدف هذه الدراسة القاء الضوء على تحليل النظم ، مضمون هذا التحليل ، مفاهيمه وافتراضاته ، التطورات والمسارات التى تطوّر خلالها ، وكيف وصل إلى مرحلة تميزت بإسهامات قدمها ديفيد إيستون وبعض المفكرين الآخرين فى علم السياسة .

تقدم الدراسة رؤية انتقادية لتحليل النظم ، فعلى الرغم من أهمية مساهمات إيستون ، وغيره من مفكرين ساهموا فى هذا الأطار لتحليل النظم ، فقد صادفت هذه المساهمات محاولات متباينة لتقييمها ، وتقدير اهميتها ، واحيانا لاعتراضها وإنتقادها ، وتركز الدراسة على اهم هذه الانتقادات والإعتراضات ، وكيف ادت إلى نتائج لها أهميتها ، سواء من حيث تعديل النماذج الرئيسية ، نموذج إيستون اساساً ، و من خلال ما قادت إليه تلك الانتقادات من محاولات وجهود لبناء نماذج جديدة ، او من خلال ما قادت إليه تلك الانتقادات من محاولات وجهود لبناء نماذج جديدة ، تقدم منها الدراسة محاولة وليم متشل ، لبناء نموذج للتبادل ، وللنظام السياسى ، مستمد اساساً من التحليل الاقتصادى للأسواق .

ولا ينحصر الإهتمام بمحاولات إيستون وحدها ، على الرغم من اهميتها ، فقد إتسعت تحليلات النظم ، وخصوصاً من خلال مفاهيم الرسالة والذاكرة والتغذية الراجعة ، التى طورها كارل دويتش ، من خلال رؤيته الواسعة ، فجاءت محاولته ، التى تزعم انها تغطى علم السياسة بكامله .

ويجد نموذج هربرت سبيرو مكانه ايضاً ، ليس من خلال زعمه تقديم نموذج شامل للسياسة المقارنة ، وليس علم السياسة بكامله كما ادعى دويتش وإيستون فى محاولتيهما ، وإنما من خلال مفاهيم خاصة محددة ، تناولها سبيرو ، لتعريف المجتمع والنظام السياسى ، والقضايا ، والإختلاف بشان المشكلات ، بغض النظر عن

درجة الحاحها ، ومرونتهما ، وبغض النظر عن النجاح او الفشل فى محاولة حلها .

وتمتد تاثيرات تحليل النظم لايستون ، لتؤثر فى هذه المحاولات التى قام بها دويتش ، وسبيرو ، إلى مورتن كابلن ، الذى حاول ان يبذل جهداً ، اعتبر رائداً ، لتطبيق هذا التحليل فى السياسة الدولية .

لذلك يتضمن هذا البحث ، بالتحليل ، تقييماً لمحاولة إيستون التى اهتم فيها بما اسماه " نظرية سببيه " لبحث وتوضيح العلاقة بين الوقائع السياسية .(١)

وهذا التحليل يفرض الألمام بمحاولات إيستون المبكرة ، وكيفية تطوّرت إلى مرحلة جديدة ، تبلورت فيها فئات مترابطة منطقياً ، وإضافات جاءت فى اطار وعية لما احاط بمحاولته المبكرة من إنتقادات واعتراضات ، وان لم يتغير ه العام .

كما يستند تقييم جهود إيستون إلى محورين : اولهما - ل اهم الأصول الفكرية التى إستمد منها إطاره التحليلى ، وثانيهما - يعالج اهم الإنتقادات التى واجهت هذا الأطار ذاته ، وتشمل هذه الإنتقادات على وجه التحديد ثلاث فئات :-

ا - الأولى تتعلق بالمفاهيم المستخدمة فى اطار التحليل .
ب - والثانية تتعلق بالامكانيات الاجرائية .
ج - والثالثة تتناول التوجهات الايديولوجية .

كذلك تعرضت محاولات تحليل النظم الأخرى للإنتقادات ، ولتقدير اهميتها ، وجوانبها الخاصة بها ، شملت صياغة دويتش ، وسبيرو ، وكابلن ، وما يرتبط بها من إمكانيات لبناء وبلورة نماذج جديدة .

اولاً : تحليل النظم عند ديفيد إيستون

يعتقد ديفيد ايستون إن الحياة السياسية إنما تشكل " نظاماً سياسياً ملموساً " والذى هو جانب من النظام الاجتماعى العام ككل .(٢) وقد إتجهت جهود إيستون لبناء نظرية سياسية موجهة وجهة امبيريقية .(٣) وبدا إيستون جهوده هذه فى مطلع الخمسينات بكتابه " النظام السياسى " . ثم تطورت جهوده فى النصف الثانى من عقد الستينات لتطوير هذه النظرية من خلال وضع عدد من المفاهيم الرئيسية ، ومحاولة صياغتها ، على أمل ان تصبح ممكنة التطبيق امبيريقياً .(٤)

وقد استهل إيستون جهوده بالافتراضات الآتية :-

اولا : إن البحث الإمبيريقى بهدف المعرفة التى يمكن الاعتماد عليها يتطلب فى النهاية بناء هيكل اوجسد لنظرية نظامية ، ويتطلب التعميم ، فالمعرفة العلمية هى معرفة نظرية تستند إلى حقائق ، لكن الحقائق وحدها لا تفسر الحوادث ، إذ لابد من ان تنظم بطريقة ما . وتنظيم الحقائق وربطها معاً ، في اطار علم السياسة ، يسهم فى تصور إيستون ، فى اصلاح المجتمع من خلال تطبيق المعرفة .

ثانيا : إن دارسى الحياة السياسية يجب ان ينظروا إلى النظام السياسى ككل ، وليس التركيز على حلول لمشكلات خاصة . والنظرية يجب ان ترتبط بالمعرفة الموثوقة ، التى يمكن الاعتماد عليها ، والبيانات الأمبيريقية . والنظرية بلا حقائق قد تكون موجهة ، لكن الوجهة لا تكون فى الاتجاه الصحيح ، اى ان مغزى النظرية قد يتلاشى ، وقيمة الحقائق قد تنتهى .(٥)

ثالثا : إن دراسة النظام السياسى تستند إلى نوعين من البيانات : اولهما : البيانات السيكولوجية التى تتعلق بالشخصيات والدوافع ، وثانيهما : بيانات موقف معين يشير إلى النشاط الذى تصوغه وتشكله التاثيرات البيئية ، وهى التاثيرات التى مصدرها البيئة المادية والجغرافية والبيئة الاجتماعية بمكوناتها المختلفة .

رابعا : قد توصف الحياة السياسية بانها غير متوازنة . عدم التوازن لا يعنى فقط التغير او الصراع ، وإنما الاتجاه المضاد للتوازن . التوازن اذن مفهوم فى عقل الباحث ، يساهم فى فهم العالم الإمبيريقى ، بمعنى ان العقل يتصوّر نتيجة ما قد يكون ، وهذه النتيجة قد تتعارض مع ما يحدث فعلاً فى الواقع العملى . والإختلاف بين الحالتين يمكن تفسيره وتوضيحه .

لقد تضمنت معالجة إيستون صياغة لأطار نظرى عام ، فركز على النظام ككل وليس مجرد اجزاء منه ن وكان على وعى بالتاثيرات البيئية على النظام ، وأدرك الفروق بين حياة سياسية فى حالة توازن ، وحياه فى حالة إختلال التوازن .(٦)

وقد رفض إيستون مفهوم الدولة ، بالنظر إلى الاختلاف والاضطراب فى المعانى الذى يثيره هذا المفهوم . فالنظام بالنسبة له يسمح بتحديد المفاهيم النظرية بوضوح ، والقوة تفهم بإعتبارها واحده من مفاهيم عديده ذات مغزى ، تفيد فى دراسة الحياة السياسية . والقوة ترتبط بصياغة وتنفيذ السياسة السلطوية فى المجتمع . وتعتمد القوة على التاثير الذى يخضع له الآخرين ، وضبط ورقابة القنوات والطرق التى من خلالها تتخذ ، وتنفذ ، القرارات المحددة للسياسة . وبهذا فإن السياسة تتكون من ذلك النسيج الذى تشكله القرارات والتصرفات ، التى توزع القيم .(٧)

تمثل مفاهيم : القوة او السلطة ، وصنع القرارات او السياسات ، اهمية جوهرية فى تحليل إيستون للحياة السياسية كتوزيع سلطوى للقيم .(٨) يقول إيستون : " إن الخطوة الأولى فى طريق إكتشاف بؤرة ، ومركز الدراسة او البحث السياسى ، هى ضرورة البحث عن معنى المفاهيم الثلاثة : السياسة او القرار المتخذ ، السلطة ، والمجتمع " .(٩)

فالمجتمع فى راى إيستون ، وما يضمه من ابنية وعمليات ، تحدد المراكز الاجتماعية ، والأدوار التى يضطلع بها اعضاء هذا المجتمع ، وتوفر لهم امكانية تحقيق منافع محددة او مكافآت وقيم ، لا تكون متاحة للآخرين . فالمراكز والأوضاع والأدوار الاقتصادية مثلاً توفر لأصحابها قيم ومنافع إقتصادية ، من عمليات الانتاج والتبادل ن وبالمثل فإن المؤسسات التعليمية والدينية والطبقية ، وغيرها ، تساعد على توزيع قيم ، ومزايا ومنافع اخرى ، تكون متاحة ، على نحو غير متساوى او متكافىء ، فى المجتمع ، وكل مجموعة من المؤسسات تساعد بطريقة او باخرى من طرق توزيع القيم فى المجتمع . وعلم السياسة ، والبحث السياسى ، يعد بحثا متميزاً وتميزه فى راى إيستون يرجع إلى انه يتناول هذا التوزيع للقيم ، عندما يكون سلطويا ، اى عندما يجب ان يتم او يطاع ، وذلك وفق اسس سيكولوجية واخلاقية .(١٠)

قد يكون مصدر هذه الطاعة او القبول هو الخوف من النتائج المترتبة على المخالفة ، كما قد يكمن هذا المصدر فى العادات والتقاليد ، او الرغبة فى التماثل ، او قد تفرض هيراركية القيم وتدرجها اولوية لمتطلبات حفظ وإحترام النظام الدستورى ، بحيث تسبق اى متطلبات تستلزمها إتباع سياسة ما ، او قرار ما ، وعدم مخالفتها .(١١)

ونظراً إلى الحاجة لنظرية نظامية ، فقد حدد إيستون بعض سمات للنظام

السياسى . وذلك فى سياق محاولته فى إتجاه نظرية سياسية عامة . من اهم هذه السمات والخصائص العامة للنظام السياسى التى ناقشها إيستون :-

أولا : خصائص تتعلق بتحديد النظام . ومكوناته . والعلاقات بينها . فى شكل وحدات . وحدود . ومدخلات ومخرجات . وتمايز داخل النظام . وتكامل داخله .(١٢)

ثانيا : من المفترض إن النظم ذات طبيعة تكيفية . او مرنه . فالنظم يجب ان تمتلك القدرة على الإستجابة للتوترات . والإضطرابات . ومن ثم ان تتكيف مع الظروف التى تحيط بها . ومع المؤثرات البيئية . وقد تقع النظم تحت تاثير ضغوط متغيرات جوهرية . وتاثيرات تتجاوز الاطار الذى توقعه الباحث مسبقاً .

ثالثا : قد تمتلك النظم عمليات للحياه . بمعنى الوظائف الأساسية . لكنها قد تكون غير قابلة للاكتشاف . او للتعرف عليها امبيريقياً . وبدون هذه الوظائف الأساسية قد لا يكون فى امكان النظام ان يستمر على قيد الحياه . إلى جانب طرق الاستجابة والتكيف التى من خلالها تتم ادارة النظام وبقاءه .

رابعا : تضم النظم وحدات او عناصر تمثلها التصرفات او الأفعال السياسية ويقوم بهذه التصرفات او السلوكيات السياسية اعضاء النظام . ويفترض إيستون ان مفهوم اعضاء النظام - بالرغم من انه لم يقل ذلك صراحة - يشير إلى مجموعة معينة يمكن تحديدها من الأفراد الذين ينجزون افعالاً او تصرفات سياسية .(١٣)

ويؤكد إيستون ضرورة الإهتمام مبدئياً بمجموعة فرعية من هؤلاء

الأعضاء ، وهى السلطات ، لأن النظم يجب لكى تجعل الحركة الجماعية ممكنة ، إن تمتلك مثل هذه السلطات .

خامسا : وهذا يقود إلى المخرجات السياسية ، والتى تشير ، فى مفهوم إيستون ، إلى القرارات ، أو تصرفات السلطات وسياساتها المتخذه ، كما قد تشير المخرجات عنده إلى التوزيع السلطوى للقيم .

وتمثل المؤثرات البيئية أهمية تحليلية خاصة فى كتابات إيستون ، لكنه اعتبر ان من الممكن تبسيط مهمة تحليل اثر البيئة من خلال تركيز الانتباه على أنواع معينة من المدخلات ، التى يمكن إستخدامها كمؤشرات لأهم المؤثرات ، وما تسهم به من ضغوط ، عبر الحدود ، فى النظم السياسية .(١٤) وركز على نوعين رئيسيين من هذه المدخلات هما : المطالب والتاييد . ومن خلال هذين النوعين من المدخلات فإن انشطة واسعة فى البيئة يمكن ان تتخذ قنواتها فى التأثير فى الحياة السياسية ، ومن ثم تعد مؤشرات رئيسية للطريقة التى بواسطتها تعدل الظروف والمؤثرات البيئية ، وتصوغ ، عمليات النظام السياسى .(١٥)

تطوّر مساهمات إيستون

اشارت كتابات إيستون المبكرة إلى أهمية ما يحتقه علم السياسة ، إذا امكن إستخلاص التعميمات التى تتجاوز خبرة أى نظام سياسى بمفرده ، أو اى نظم سياسية تنتمى إلى نفس الحضارة أو الثقافة ، بمعنى ضرورة التوجه المنهجى الذى يكفل الدراسة المقارنة للمؤسسات السياسية ، والتعرف على الطريقة التى من خلالها يمكن التعرف على كيفية قيام تلك المؤسسات بإنجاز نفس المهام فى ظل الظروف المختلفة لكل نظام سياسى . لذلك اكد إيستون على أهمية إكتشاف المهام المتشابه ، أو المحددة ، فى كل نظام سياسى ، معاصر أو تاريخى ، فى سبيل تطوير علم السياسة .(١٦)

اذ اعتبر إيستون ان التفاعلات السياسية فى مجتمع ما تشكل نظاماً للسلوك ، وهذا النظام السياسى لا يمكن فصله أو عزله عن النظام الاجتماعى الشامل ، وهكذا يمكن التمييز بين المتغيرات الجوهرية داخل النظام ، خصوصاً تلك المتعلقة بتوزيع القيم وتواتر الاذعان أو الطاعة ، والمتغيرات البيئية التى تؤثر فى النظام ، والمخرجات الناتجة عن النظام .(١٧)

ويوضح الشكل التالى هذه السمات ، وقد اصبح مألوفاً ومتداولاً لدى اغلب باحثى العلوم السياسية .(١٨)

البيئة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية

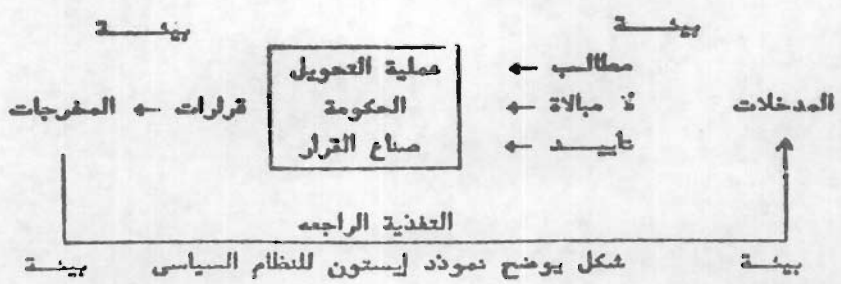

شكل يوضح نموذج إيستون للنظام السياسى

وهذا الشكل يفترض ، تحليلياً ، فصل الحياة السياسية عن الجوانب الأخرى في المجتمع ، والتي اسماها إيستون البيئة ، وهذا الفصل يتم من خلال حدود تبين اين ينتهي النظام ، ويبدأ ، وتكون المدخلات في شكل مؤثرات على النظام ، وتنشأ من البيئة ، أو من النظام ذاته . فالمطالب تنشأ داخليا أو خارجيا ، وتصبح قضايا يكون اعضاء النظام معدين للتعامل مع مفرداتها ، ومناقشتها ، من خلال القنوات المعترف بها في النظام ، ويمثل التاييد توجهات لتطوير وبقاء النظام السياسي ، وتنطلق المخرجات من النظام في شكل قرارات أو افعال وتصرفات ، وهذه المخرجات تؤثر في التغذية الراجعة أو المرتدة عبر البيئة ، والتي تؤثر بدورها في إشباع المطالب ، وتولد بذلك تاييداً للنظام ، وقد تكون النتائج عكسية بمعنى تصاعد وظهور مطالب جديدة ، أو عدم التاييد للنظام .

وقد تطورت افكار إيستون ، فبدات كتاباته منذ ١٩٦٥ توضح مجموعة مترابطة منطقيا من الفئات ، تحمل طابعاً امبيريقيا ، تجعل من الممكن تحليل الحياة السياسية كنظام للسلوك(١٩) ، فجاءت محاولة إيستون لإعادة صياغة افكاره السابقة في شكل جديد ، تضمن فئات وافتراضات سبق له ان تناولها في محاولاته المبكرة السابقة ، وارتبطت بالنظام والبيئة والإستجابة والتغذية الراجعة .

فالمجتمع بإعتباره النظام الذي يضم كل النظم الإجتماعية والسياسية والإقتصادية الأخرى ، وغيرها من نظم ، يعتبر اكثر النظم شمولاً . والنظام السياسي يتضمن مجموعة التفاعلات التي مصدرها السلوك الإجتماعي ككل ، في شكله الشامل ، والذي من خلاله فإن القيم يتم توزيعها ، توزيعاً سلطوياً ، على المجتمع ، واشار إيستون إلى النظم المفتوحة والنظم المغلقة ، واعتقد أن الحياة السياسية تمثل اشكالاً للنظم المفتوحة ، بمعنى إنفتاحها لتاثيرات من البيئة ، والحدود هي التي تفصل ، وتميز ، النظام السياسي عن النظم الأخرى ، وتحدد ما تتضمنه المعالجة ، وما يجرى إستبعاده منها .

وقد سمحت هذه المفاهيم لإيستون بدراسة العلاقات بين النظام السياسى وبيئة ، وما تتضمنه تلك البيئة من عناصر داخلية واخرى خارجية . فالبيئة تتضمن عناصر داخلية تشير إلى تلك التى تقع خارج حدود النظام السياسى ، لكنها داخل نفس المجتمع ، وقد تكون إيكولوجية بمعنى البيئة الفيزيقية وغير البشرية . او تكون بيولوجية ، اى تتعلق بافراد المجتمع الإنسانى ، فى تكوينهم العضوى ، وبالشخصية ، والتكوين السيكلوجى ، وبالبناء الإجتماعى والثقافى ، والنظم الإقتصادية والديموجرافية ، اما العناصر الخارجية فإنها تشير إلى جانب البيئة الذى يقع خارج المجتمع ، الذى يعد النظام السياسى نظام فرعى به ، وهذه البيئة قد تطرح نتائج وتاثيرات هامة على بقاء النظام السياسى واستمراريته ، او تغييره وتبديله .

وتتضمن البيئة الدولية على سبيل المثال ، وفق ما أورده اليستون ، نظم إيكولوجية دولية ، والنظم إجتماعية دولية ، ونظم سياسية دولية . والنظم الفرعية للنظام السياسى الدولى تتضمن نظم سياسية قومية ، والأمم المتحدة ، وقد يمكن إضافة التكتلات الدولية المختلفة اليها .(٢٠)

وقد تحول إهتمام إيستون إلى تحليل ديناميات النظم ، وبقائها او استمراريتها ، فاكد ان النظام السياسى يبقى ويصمد فى وجه التغير ، لأن النظم السياسية ليست عزلاء بلا دفاعات فى مواجهة الضغوط ، واعتبر ان مصادر التغير وضروراته قد تاتى من إتجاهين : اولهما : من البيئة الداخلية ، اى من داخل المجتمع ، وثانيهما : من البيئة الخارجية اى من خارج المجتمع . ولعل إيستون قد تاثر بكتابات تلكون برسونز التى اشارت إلى مثل هذا التغير .

والحقيقة ان بارسونز قد حاول معالجة بعض اوجه العملية السياسية ، والتى تشمل فى رايه ثلاثة اوجه(٢١) : اولها : ضرورة استمرار نوع من الاستقرار للنظام السياسى فى مواجهة التغيرات فى بيئة النظام ، او ما يسميه برسونز بالتتابع

الدائرى ، وهو ما يفرض على القيادة معرفة دقيقة بالظروف البيئية ، والموقف الذى يرتبط بحركة النظام ، وتحقق ميكانيزمات للتوازن ، وبدون ذلك يتعرض النظام لإحتمالات عدم الاستقرار ، وثالثها : النمو ، وترتبط مشكلة النمو بمطامح لتوسيع مقدرة القوة للنظام بدرجة قد تتجاوز إمكانيات الموارد المحلية(٢٢) ، وثالثها : التغير البنائى ، أو المؤسسى ، فى المكونات البنائية للنظام السياسى . ويتناول برسونز مشكلات التغير تحليلياً ، التى تسهم فى تحقيق تقدم جذرى ، وليس مجرد تطوّر(٢٣) .

وتتضمن هذه الأوجه الثلاثة فى رأى برسونز توسعا كبيرا للعوامل الفاعلة فى "عمليات" النظام السياسى .(٢٤)

النظام السياسى إذن ، وفق ما ذهب اليه ايستون ، يتاثر بما يحدث فى البيئات الداخلية والخارجية ، وقد استطاع ايستون أن يفترض نموذجاً لإستجابة ديناميكية للنظام السياسى ، كما يصوره الشكل الآتى(٢٥) :

نموذج متتابع للنظام السياسى وفق ديفيد ايستون

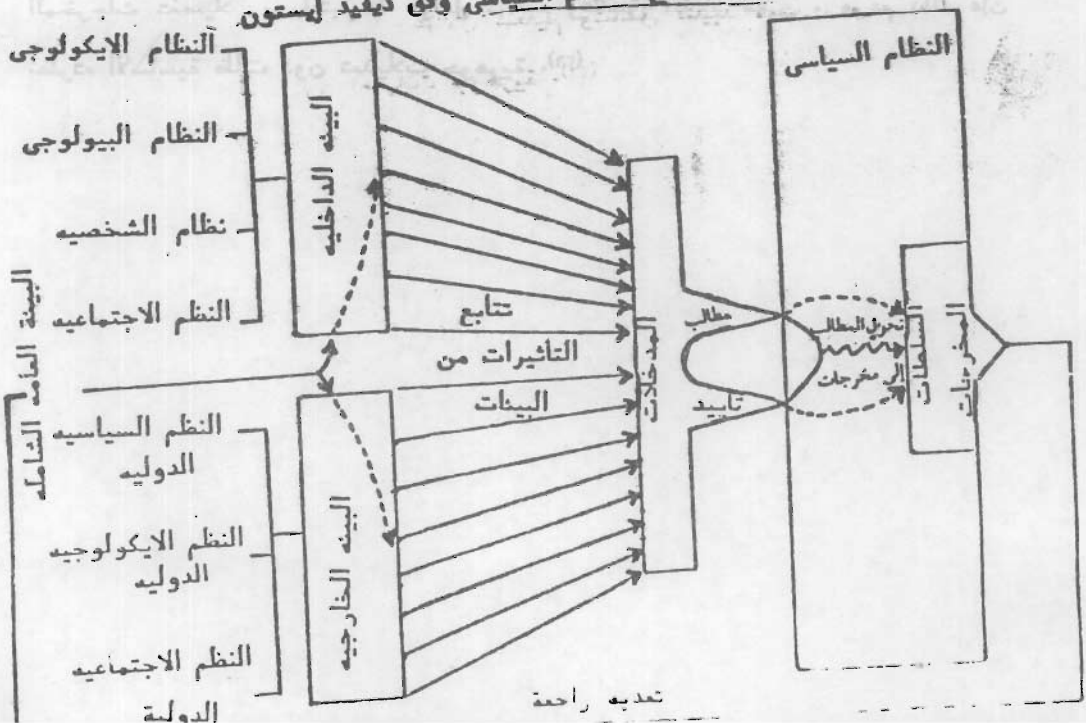

لقد إهتم إيستون بتحديد المفاهيم ، ثم كانت خطوته التالية مناقشة النظرية العامة . فاستمر ينظر إلى الحياة السياسية بإعتبارها نظاماً مفتوحاً يخضع لضغوط وتاثيرات من مختلف الظروف البيئية .

والنظام عندما تهدده تلك الضغوط ، يميل إلى الصمود فى مواجهتها ، والبقاء لذلك حاول إيستون أن ينقب عن الأسباب التى تفسر صمود وبقاء النظام السياسى فى وجه الأزمات المتكررة والمستمرة ، لتحقيق مهمة اساسية فى طرح بعض تعميمات تمكنه من عملية بناء نظرية عامة .

لكن إيستون بدا يدرك ان خطواته لم تحقق الهدف النهائى ، بمعنى نظرية كاملة محكمة ، وإن التوقيت بالنسبة لتحقق هذا الهدف لم يات بعد ، لكنه نجح ، فى تقدير الكثير من الكتاب فى صياغة أطار نظرى واسع ، يستند إلى عدد من المفاهيم ، وكان الهدف ان يصل اساساً إلى بحث إمبيريقى ، فركز على عدد من المقولات ، او الفئات الأساسية فى التحليل ، وحلل باسهاب المدخلات المطالب ، وتحول إلى المدخلات التاييد ، وحدد إستجابات الضغط الواقع على النظام ، وناقش المخرجات تفصيلاً ، بإعتبارها عوامل تنظيم وتناسق لتاييد معين ، ورغم ذلك فإن نظرته الأساسية ظلت دون تعديلات جوهرية .(٢٦)

تقييم وإنتقادات

تمثل افكار ديفيد إيستون أهمية أصبح معها من غير الممكن مناقشة نظرية النظم فى السياسة المقارنة مناقشة كاملة ، دون إشارة ، من نوع ما ، إلى هذه الأفكار .(٢٧)

لقد حاول إيستون صياغة نظرية نظامية تربط افكاره بكل العلوم الإجتماعية(٢٨) ، واشار إلى ان تحليل النظم قد حقق إنتشاراً وتداولاً فى كل العلوم الطبيعية والبيولوجيه ، وايضا الإجتماعية(٢٩) ، واكد اهمية تبلور " النظم " كبؤرة محتملة للتحليل ، واعتبر ان تحليل النظم العام " ربما كان جهداً اكثر طموحاً من نظرية الفعل او الحركة "(٣٠) ، لكى تتجه العلوم الإجتماعية إلى نوع من الأطار العام .(٣١)

ومع ذلك فإن كتابات إيستون إنطلقت مبدئيا من علم السياسة ذاته ، وقد أشار إيستون إلى ان كتاباته قد تأثرت باعمال وكتابات هارولد لاسويل وجورج كاتلن وشارلز مريم ، ويؤكد مكنزى انه لا يوجد نظرية لايستون ، على النحو الذى توجد به نظرية مثلاً لتلكوت برسونز ، لأن إيستون إنما تناول بالتفسير ، والتعديل ، تياراً من الفكر فى العلوم الإجتماعية تطوّر بشكل قوى لنحو اربعين عاماً .(٣٢)

وقد ركز إيستون على بناء نظرية سياسية - فى تقديره - بناء على إدراكه لعاملين ، أولهما : إعتقاده بان الإهتمام بالمؤسسات القانونية والرسمية قد انقضى زمنه ، بمعنى ان علم السياسة يجب ان يتجه إلى التنظير للنظام السياسى ، وعملياته ، وليس إل الدولة ومؤسساته . ثانيهما : جعل إهتمامه يتجه إلى البحث فى النظرية الكلية والتى تتعلق بالنظام ككل ، وتتجاوز حدود الدراسات متوسطة المدى ، المرتبطة بالأحزاب السياسية وجماعات الضغط ، وما شاكلها . والحقيقة إن كتابات

إيستون المبكرة (١٩٥٣) تعد مرتبطة أساساً بالتحليل متوسط المدى للأحزاب والجماعات وما إليها ، حيث رفض دمج هذه الدراسات الجزئية فى مفهوم يتم تعميمه للنظام السياسى . أما كتاباته التى اتت بعد ذلك فقد إنتقدت بشدة نظرية التوازن التى يستند إليها التحليل متوسط المدى ، وبدأت تتجه إلى البحث فى النظرية الكلية التى تتعلق بالنظام ككل .

وقد إستند إيستون إلى مصادر وتحليلات بديله ، خارج نطاق علم السياسة ، منها كتابات فى علوم الإجتماع ، والإقتصاد ، والإنثربولوجيا . ويشير بعض الكتاب إلى اهمية ، وتاثير ، برسونز بوجه خاص ، والذى انطلق فى كتاباته من ماكس فيبر ، واستنتج منه إطاراً مرجعياً للحركة ، ممكن تطبيقه على النظرية الكلية فى العلوم الإجتماعية . وقد قام برسونز بصياغة تعميمات حول النظام الإجتماعى ، واضاف إيستون إسهاماً ، وإن كان محدوداً ، إلى كتابات برسونز تتعلق بتساؤلات اثارها حول صحة النظرية السياسية ، بإعتبارها عنصر اساسى فى نظرية النظم الإجتماعية .

ورغم التشابه بين إيستون وبرسونز ، خصوصاً فيما يتعلق بإهتمام كل منهما المكثف بالقيم ، ومدلولاتها ، وهو ما ظهر فى اعمالهما ، فإن هناك اوجه إختلاف بينهما ، ويؤكد توماس لويس إن الليبرالية الكلاسيكية قد إستخدمت مفاهيم المساواة والإتفاق ، وهى مفاهيم متاصلة فى الصياغة الكلاسيكية عن الدولة التى وصفتها كتابات توماس هوبز وجون لوك . وبينما تتفق كتابات برسونز مع مفاهيم المساواة والإتفاق هذه ، والموجودة فى المذهب الليبر الى الكلاسيكى ، فإن مفاهيم إيستون ، حول التاييد واستمرارية وبقاء النظام وغيرها ... لا تقع ضمن المنظور الليبرالى ، كما ان فكرة إيستون عن توزيع القيم لم يستخدمها هذا المنظور الليبرالى .(٣٣)

وقد إستخدم إيستون ، كوحدة للتحليل والمعالجة ، وإن كانت تكميلية ، " الوظيفة " ، والتى كان لها إستخدامها فى علم الإنثربولوجيا ، وإستخدمت على

نطاق أوسع إنتشاراً في علم الإجتماع . لكنها إستخدمت بعد ذلك في مختلف العلوم الإجتماعية .(٣٤)

واكد إيستون ان التحليل البنائي - وفق التسمية التي اطلقها إيستون ذاته - لا يمثل نظرية ، وإنما مفهوم جوهري في كل المناهج العلمية ، كما إحتل صنع القرار ، أو الإختيار السياسي ، أهمية خاصة في الإطار الذي رسمه إيستون ، إستناداً إلى كتابات أولئك الذين تأثروا بعلم النفس الإجتماعي واكدوا على اهمية عملية الإختيار .

ويبدو ان الأطار الذي رسمه إيستون قد تأثر إلى حد كبير بالمفاهم التي ترتبط بالإقتصاد الكلي ، أو الماكرو ، وقد لاحظ وليم متشل إن مفهوم إيستون للتخصيص السلطوي للقيم يشبه نظريات توزيع الدخل وتخصيص الموارد في علم الإقتصاد ، وفي النظرية الإقتصادية الكلاسيكية على وجه الخصوص ، وهي النظرية التي تركز أيضاً على الإقتصاد بإعتباره عملية توزيعيه ، أو نظام توزيعي

ويشير وليم متشل إلى ان منهج علماء السياسة الأمريكيين لدراسة السياسة ، سواء على مستوى اطار المفاهيم المجرده ، او على مستوى البحث الأمبيريقي الفعلي ، يجعلهم ينظرون إلى مشكلتهم على إنها مشكلة توزيع القوة ، او قد يتبنون ذلك المصطلح الأوسع الذي اوضحته تحليلات إيستون وهو " التوزيع السلطوي للقيم " مع تركيز خاص على القوة .

وهذا التوجه في دراسة السياسة ، يوصف بانه توزيعي ، لأنه يهتم بالتوزيع أو التخصيص ، بإعتبارة الوظيفة الكبرى ، وإن لم تكن الوحيدة للنظام السياسة . ومن ثم فإن المشكلة الكبرى لعلماء السياسة تصف وتفسر هذه العمليات ، والأبنية ، التوزيعية . اما المشكلات الأخرى . فإنها اما لا تدخل اصلاً في نطاق المعالجة ، واما تصبح ذات اهمية ثانوية محدودة .(٣٥)

ويشير متشل إلى ان إعتبار السياسة عملية توزيعية تمثل فرضية مهيمنة على علم السياسة الأمريكى ، وفى الواقع خلال تاريخ الفلسفة السياسية ، وفق ما يعتقده(٣٦) . ويؤكد إن نظريات التوزيع يجب ان تظل جزءاً هاماً من علم السياسة ومن الفلسفة السياسية ، طالما ظلت الظروف التى تفرض هذا التوزيع قائمة ، لتجعل منه ضرورة . ولكنه يعتقد ان نظريات التوزيع فى حاجة إلى أن ترتبط بنوع من التحليل اكثر شمولا ، كذلك النوع الذى تمثله نظرية النظم(٣٧) . لكن هذه الآراء اثارت تساؤلات لدى فريق من العلماء ، فهل السياسة تمثل علم توزيعى فعلاً ؟ وإذا كان الأمر كذلك ، فاين موقع السلع العامة ، التى تختلف عن السلع التوزيعية ، فى كونها متاحة للجميع ؟(٣٨) .

إن ثمة تشابه مع النموذج الإقتصادى الكلاسيكى الذى تمثل كتابات آدم سميث بؤرة التحليل والدراسة فيه ، كذلك فإن نموذج إيستون يشترك مع المنهج الإقتصادى التقليدى فى قاسم مشترك لا يتعلق فحسب بافكار النسق والمدخلات والمخرجات ، بل وايضاً فكرة الندرة ، والتخصيص ، والمنافسة ، وتحقيق اقصى ربح ممكن ، والتوازن ، والإعتماد الوظيفى المتبادل ، والتنظيم الذاتى ، والبحث عن تحقيق الأهداف ، والتغذية الراجعة(٣٩) .

كذلك فإن اضافة إيستون لصفة " سلطوى " إلى التوزيع تتعرض لتساؤلات ، لأنها تكرس فكرة الطاعة ، فيقابل كل المواطنون كل القرارات بالطاعة ؟(٤٠) .

ومفهوم إيستون عن النسق ينبثق اساساً من العلوم الطبيعية وعلم الأحياء ، يقول إيستون : إن علم السياسة فى حاجة إلى نظرية عامة فى العملية الحيوية ، كتلك التى فى علم الطبيعة ، وعلم الأحياء(٤١) . ويؤكد ان النظم الفيزيقية والبيولوجية تتميز عن النظم الاجتماعية بانها اكثر بساطة ، لأنها نظم منعزلة عن المناخ المحيط بها ، وعن البيئة الخارجية . فالجسد او النظام البيولوجى ، وشبكة الخلايا ، وغيرها من

نظم عضوية مبسطة ، تقيها قشرتها الخارجية ، او جلدها يعزلها ، ويحفظ عملياتها الداخلية للنمو والحياة عن المؤثرات الخارجية ، بينما النظام السياسى يتكون من عوامل وتفاعلات إجتماعية تنتشر عبر المجتمع ، ويخضع لتاثيرات البيئة او المناخ المحيط به بشكل فعّال ومؤثر(٤٢) .

وكثير من الكتاب يعتقد ان ما يقدمه إيستون يفتقر إلى تحديد وتعريف واضح ذو مغزى ، لمصطلح النسق او النظام ، الأمر الذى يطرح مشكلات منهجية ونظرية غير قابلة للحل(٤٣) .

وقد تاثر إيستون بالعلوم الطبيعية فى نقطتين ، اولاهما : تتمثل فى إخضاع السلوك فى النظام السياسى لمبدأ التشابه او التناظر الوظيفى ، وإذا لم يكن كذلك ، فإن العمليات المتناظره هى التى تحكمه . وثانيهما : محاولة البحث عن وحدات مستقرة للتحليل ، وحدات يمكن ان تلعب دوراً اولياً فى البحث الإجتماعى ، وهذه الوحدات تماثل جزيئات المادة او الذرة فى العلوم الطبيعية .

وقد اوضح جون استن إن كتابات ديفيد إيستون قد تضمنت منهجين : المنهج الميكانيكى ، والذى اشار اليه بإسم إيستون (١) والمنهج الحيوى او ما اسماه بايستون (٢) . فبالرغم من تعذر الجمع بين المنهاجين فى آن واحد فإن كتابات ديفيد إيستون قد جمعت بينهما(٤٤) . وعلى حد تعبير جون استن فإنه يوجد إثنان إيستون ، ربما غير معروفان لإيستون نفسه ، ويقول : " قد يدرك المرء نوعاً من الثورة فى فكر إيستون - إشارة الى مفهوم إيستون عن ما بعد السلوكية او ما اسماه بالثورة الجديدة - لكن كيف يستطيع إيستون التوفيق بين التزامه بالعلم الأساسى ، وبين التكيّف من اجل الملاءمة والحركة ؟(٤٥) .

كما اشار جون استن إلى المعضلة التى تواجه إيستون فى تحليل مفهوم

التوازن ، حيث لم يستطع القاء الضوء على تسلسل التتابع السببى الذى يؤدى إلى النتيجة[٤٦] ، وإلى الارتباك والحيره التى يثيرها مفهوم بقاء النظام ، لأن كل النظم تتغير بإستمرار تحولات ، ومفهوم البقاء والاستمرارية لا يمكن أن يكون أداة للتفسير ، أو نظرية[٤٧] . كما أشار أستن إلى الانتقادات التى تصف نظرية إيستون بانها " ممارسة فارغة ، أو حشو وتكرار للمعنى لا يزيد شيئاً أو قوة " [٤٨] وتشير بعض الآراء إلى أن افكار إيستون قد جاءت متوازية مع اعمال عالم النفس الأمريكى جيمس ميللر ، والذى يعد أول من ناقش قضية التكامل المنهجى ، ضمن أعمال فريق من علماء فى مختلف العلوم الإجتماعية والفيزيقية والبيولوجية ، كالإقتصاد والتاريخ وعلم النفس والطب وغيرها[٤٩] .

وقد وضع جيمس ميللر الافتراضات الأساسية لنظرية عامة للنظم ، إستناداً إلى تعريف النظام بإعتباره " مجموعة من الوحدات بينها علاقات تربطها " وأوضح الإختلاف والتباين بين النظم الملموسة والنظم المجردة ، واهتم بالنظم الملموسة ، وعبر عن شكوكه بالنسبة للنظم المجردة أو النظرية التى صاغها برسونز . كذلك أشار إلى التفرقة بين النظم المفتوحة والنظم المغلقة ، وإلى توازن النظام الذى قد يكون توازناً مستقراً ، أو غير مستقر ، أو محايد . وإلى النظم الحية بإعتبارها نظم مفتوحة ، وعلى الهيكل أو البناء بإعتباره الترتيب الاستاتيكى لأجزاء النظام . أما العملية فنظر إليها بإعتبارها " تغير ديناميكى لذلك النظام عبر فترة زمنية " . كما اشار إلى النظم والنظم الفرعية .

ومهما كانت التاثيرات على كتابات ديفيد إيستون ، والأصول الفكرية التى استمد منها افكاره ، فإن هذه الكتابات والأفكار جاءت مبكرة لكى تضع صاحبها فى مقدمة تيار نظرية النظم العامة ، والتى له فضل فى تكييفها لتتلاءم وعلم السياسة[٥٠] .

إن ثمة تشابه واضح ، وقاسم مشترك ، يجمع بين النظرية الإقتصادية ، وكذلك العلوم الفيزيقية ، والبيولوجية ، والإفتراضات العضوية للنظام كما صاغها ديفيد إيستون ، وليس من الصعب تحديد هذا التشابه ، كما ان ثمة تاثيرات لعلوم الإجتماع والانثربولوجيا على كتابات ايستون ، وهكذا ربط إيستون بين عناصر شكلت تقليداً للتكامل المنهجي ، في البحث عن نظرية للنسق او النظام ككل ، وهناك محاولات للتوليف بين اكثر من منهج للوصول إلى نموذج عام او نظرية عامة في الفكر المعاصر تستند إلى فكرة النسق ، وقد حاول ارفن لازلو توضيح ان مثل هذا النموذج العام متاح اليوم ، وهو نموذج النظم الفيزيقية والعقلية ، والذي يطبق على الخبرة الإنسانية ، ومشكلاتها ، وهو نموذج فلسفي للنظم ، يتضمن عناصر متكاملة ، ملموسة وحقيقية او فعلية ، وبيولوجية ، وفيزيقية ، وايضا إجتماعية(٥١) .

ويعتقد هولت وريتشاردسون ان ما يقدمه إيستون يفتقر إلى الأسس والمتطلبات التي يلزم توافرها في النموذج او النظرية ، وإذا كان إيستون قد قدم افكاره بإعتبارها نموذجاً متتابعاً للنظام السياسي ، فإنهما يعتقدان إن إيستون لم يقدم مثل هذا النموذج على الإطلاق(٥٢) .

إن مفهوم النظام يمثل نقطة محورية في صياغة إيستون ، وقد اكد إيستون - في اطار تعريفه لهذا المفهوم في وضوح - ان التفاعلات السياسية في المجتمع تشكل نظاماً للسلوك ، لكن هذا التعريف يصبح ذات مغزى فقط اذا توافر شرطان :-

الأول : إذا امكن تعريف مفهوم نظام السلوك بشكل واضح محدد .

والثاني : إذا وجدت مجموعة من التفاعلات السياسية بالفعل في المجتمعات ، بطريقة تتلاءم ، وتتفق مع هذا التعريف(٥٣) .

لكن هذا المفهوم لا يحمل المفاهيم والنتائج التى تجعل منه اساسا لنموذج ، او جسداً لنظرية متقدمة . وليس من المعقول - وفق هذا الراى - الافتراض بان هذا هو ما يقدمه إيستون[٥٤] .

وعندما حاول إيستون تعريف النظام السياسى بانه مجموعة من المتغيرات ، بغض النظر عن درجة العلاقات فيما بينها ، قدم تبريراً لهذا التعريف ، بإعتباره يحررنا من أن نتعرض لمناقشة ما إذا كان النظام السياسى هو حقاً نظام فعلى ام لا[٥٥] . والمعيار الوحيد لدى إيستون الذى يمثل اهمية عند إنتقاء مجموعة من المتغيرات كنظام للتحليل هو ما اذا كانت هذه المجموعة تشكل نظاماً هاماً ، وتساعد فى فهم جانب من السلوك الإنسانى ، فى تقدير الباحث[٥٦] .

من هنا فإن ثمة حاجة واضحة إلى تعريفات إضافية قبل إتخاذ أى نوع من الصياغة النظرية ، او البحث الإمبيريقى الملائم للحياة السياسية[٥٧] . ويمكن العثور على واحد من هذه التعريفات الإضافية فى كتابات إيستون ، الذى راى أن النظام السياسى يمكن النظر إليه بإعتباره : تلك التفاعلات التى من خلالها يتم توزيع القيم توزيعا سلطويا .

لكن هذا التعريف يقود إلى تساؤل هام حول مجموعة الإفتراضات الأساسية التى تمثل جوهر واساس صياغة إيستون التى يمكن إستخدامها كنموذج ، بمعنى : ما هى طبيعة العلاقة بين النظام كما يعرفه إيستون ، وكما يفهم من خلال وصف خصائصه ؟ اى ما طبيعة العلاقة بين تعريفه الظاهرة وسماتها المميزة ؟

لم يقدم إيستون قواعد للاستدلال تسمح بتحديد واضح يخلو من الغموض حول عناصر النظام ، واعضائه ، وحدوده ، وبيئته ، فى اطار هذا التعريف .

من هنا لا تقدم صياغة إيستون نموذجاً حقيقياً لو على افضل التقديرات فإنها تقدم نموذجاً ضعيفاً يخلو من العناصر الأساسية ، لذلك يصف هولت وريتشاردسون صياغة إيستون بإعتبارها " مجرد تجميع لفئات وصفية ، وتعميمات حدسية "(٥٨) . وبالرغم من ان هذه الصياغة قد إستخدمت بعض من لغة واساليب تتفق مع قواعد او اعراف متفق عليها لتحليل النظم ، إلا ان الإفتراضات التى تقدمها كنموذج ، وكمرشد لبحوث إضافية ، لا تمثل اكثر من مجرد " تعبيرات شيقه " ذات طبيعة مؤقتة حول الحكومات(٥٩) . ومثال ذلك تحليلات إيستون حول الظروف الضاغطة التى تواجهها النظم ، والتى مصدرها البيئة ، حيث يؤكد إيستون إن النظام قد يعانى من هزيمة شاملة على يد عدو خارجى ، او من ازمة إقتصادية حادة تثير إستياءاً واسعاً ، وتهدد بتفكك النظام ، الأمر الذى يثير إفتراضات حول عجز السلطات وعدم قدرتها - فى رايه - على إتخاذ القرارات ، او ان القرارات التى تتخذها تصبح غير مقبوله ، وغير شرعية ، فيصبح التوزيع السلطوى للقيم فى ظل مثل هذه الظروف غير ممكناً ، وينهار المجتمع ، بسبب حاجته إلى نظام للسلوك لإنجاز وظائفه الأساسية(٦٠) .

فمن الصعوبة الإعتقاد بأن " مجموعة من التفاعلات " تخضع لهزيمة شاملة على يد عدو ، او يفعل ازمة إقتصادية حاده . كما ان القول بخضوع تلك المجموعة من التفاعلات لإستياء واسع او شامل ليس امراً ممكنا او معتاداً . وتمثل مصطلح الحكومة قد يكون بديلاً من مصطلح النظام فى هذه الحالة ، فتصبح مثل هذه التعبيرات ، مقبولة ظاهريا . لكنها تعبيرات لا يمكن ان تشكل عناصر ومقومات لنموذج بالمعنى الصحيح(٦١) .

والحقيقة التى تؤكد عليها هذه الدراسة إن كتابات إيستون وتحليلاته تمثل اهمية خاصة ، وعلامة بارزة فى تطور دراسة السياسة المقارنة ، وعلم السياسة عامة . ولا يمكن القول بتجاهلها ، او التقليل من اهميتها نتيجة الإستناد إلى معايير محددة

يلزم توافرها فى هذه الكتابات والتحليلات لتشكل نموذجاً ، او نظرية ، بالمعنى الذى حدده كلا من هولت وريتشاردسون ، او من سار على دربهما ، خصوصاً عند المبالغة فى اهمية هذه المعايير ومحتواها ، والتشديد على عناصرها بشكل يجعلها اقرب الى المعايير المستخدمة فى العلوم الطبيعية ،

.. دون النظر الى ما تتميز به العلوم الإجتماعية ، وعلم السياسة على وجه الخصوص ، من طبيعية تميزها ، وسمات وخصائص تترك بصماتها واضحة على الكتابات والتحليلات فى مثل هذه العلوم .

وعلى حد تعبير أحد الكتاب فإن اطار تحليل النظم الذى إستخدمه إيستون " قد ايقظ علماء السياسة ولفت إنتباههم الى طرق لتحليل العلاقات المتداخله المعقدة للحياة السياسية "(٣) .

إن اطار ا يستون يمثل جهداً لتنظيم البيانات السياسية خلال نسق متكامل من المفاهيم ، ويؤكد هذا الجهد على دراسة وتفسير النظام السياسة ككل ، اكثر من التركيز على عناصر هذا النظام ، كل منها على حده ، ويمكن ملاحظة الكثير من السمات المشتركة ، التى تجمع بين تحليلات إيستون ، وكثير من مفكرى المدرسة السلوكية ، من بين هذه السمات :-

(١) رفض المفاهيم التقليدية لعلم السياسة ، كالدولة والقوة ، والتى اعتبرت غامضة ، وذات طبيعة معيارية او قانونية .

(٢) إستخدام مفاهيم كالمدخلات والمخرجات والتغذية الراجعة ، والتى اعطت معنى دقيق ، كعناصر فى بناء نظام ما .

«٣» تتضمن مفاهيم شاملة ، مثل التخصيص السلطوى للقيم ، والتى يمكن إستخدامها فى تعريف المعرفة السياسية الكاملة .

«٤» التاكيد على ضرورة التكامل المنهجى فى بناء النظرية[٦٣] .

إلا ان إطار إيستون لا يخلو من جوانب نقص ، وجهت إليها انتقادات عديده ، بعضها تركز حول المفاهيم ، وبعضها الآخر تناول إمكانياتها الاجرائية ، والبعض حاول مناقشة توجهها الإيديولوجى .

اولاً : إنتقادات تتعلق بالمفاهيم

رغم إن إيستون قد كرس إهتماماً كبيراً لتبسيط وتوضيح المفاهيم ، فإن الكثير من الإنتقادات وجهت إلى صياغته ، على اساس عدم كفاية المفاهيم ، وان ماجاء بها من مفاهيم كان مبالغاً فى الإهتمام بإستقرار وبقاء النظام فى مواجهة التغير ، والصراع ، الذى يميز الحياة السياسية الجارية فى العصر الحاضر ، وهو المفهوم ذات الوجهة المركزية لتخصيص القيم ، ولإستخدام الحدود .

وقد إتضح إهتمام إيستون بهذا المفهوم - مفهوم إستقرار وبقاء النظام او إستمراريته - فى مناقشاته المكثفة للبقاء ، بحيث اصبح بقاء النظام واستمراريته يشكل قرضية مركزية فى كل تحليلاته ، فاصبح كل شىء معلق على بقاء النظام[٦٤] .

ويبدو ان فكرة بقاء النظام لدى إيستون قد استقاها من علم الأحياء ، فالنظام العضوى الحى يبقى مرتبطا بالحياة ، واعضاء او اجزاء هذا النظام العضوى للكائن الحى تؤدى وظائفها لكى يستطيع النظام أن يحيا ، ويؤدى وظائفه ، وعلى نحو مماثل اشار إيستون إلى " عمليات الحياة " للنظام السياسى ، فإذا فشل فى تادية

وظائفه ، فإنه - أى النظام السياسى - لا يستطيع البقاء والإستمرار على قيد الحياة ويقصد إيستون بعمليات الحياة " التخصيص السلطوى للقيم " فى المجتمع ، والتى تشكل بدورها تعريفه لعلم السياسة . وهكذا فإن النظام السياسى يفشل فى البقاء عندما لا توجد سياسة(١٥) .

إن بقاء النظام واستمراريته يرتبط بالاستقرار ، والتوازن ، وكلها مفاهيم استاتيكية ، تتعارض مع طبيعة التغير السياسى ، الذى يعترى المجتمع المعاصر ، لذلك فإن مفهوم بقاء واستمرارية النظام تعرض لإنتقادات متتالية(١٦) ، وإعتبره البعض مفهوم يقود إلى إدراكات خاطئة للمواقف الواقعية ، وللشعب .

والفكرة التى تعتبر إن السياسة هى تخصيص للقيم تعرضت ايضاً للإنتقادات ، بإعتبارها يمكن ان تقود إلى إفتراضات خاطئة ، فالتركيز على مشكلات التخصيص قد يقود إلى النظر إلى النظام السياسى بإعتباره يؤدى وظيفة واحدة فقط ، هى التخصيص ، بل وهناك من اعتبر إن السياسة لا تقوم بتخصيص القيم فى المجتمع ، وإن الاقتصاد هو الذى يزع الموارد والدخول(١٧) .

وسمحت هذه الانتقادات لوليم متشل بصياغة فكرة من خلالها ينظر إلى النظام السياسى على أنه نظام " للإختيار العقلانى " . والنظم الاقتصادية قد تطرح حلولاً للمشكلات ، كذلك النظم السياسية تطرح حلولاً ، أو تخلق خيارات عبر الزمن ، والى جانب هذا التأكيد على الاقتصاد السياسى إفترض متشل نموذجاً للتبادل ، مع الإهتمام بالانسياب ، الدائرى والمعقد ، للمبادلات .

وفق متشل فإن المفهوم الاساسى للسياسة ، بإعتبارها فى جوهرها ظاهرة تبادل ، يتضمن تاكيداً على المسائل الاقتصادية ، ولا تختلف عموماً عن التبادل الاقتصادى ، وفى هذا المنظور فإن التاكيد من جانب علماء الإقتصاد على الإختيار

العقلانى من قبل الأفراد والمؤسسات ، يرتبط بمختلف اشكال التبادل التى تتداخل فيها الأحزاب والجماعات والأفراد والحكومات فى متابعة مصالحهم الخاصة[٦٨] .

ويوضح الشكل الآتى إطاراً نظرياً للنظام السياسى ، مشتق اساساً من ... دليل الإقتصادى للأسواق[٦٩] .

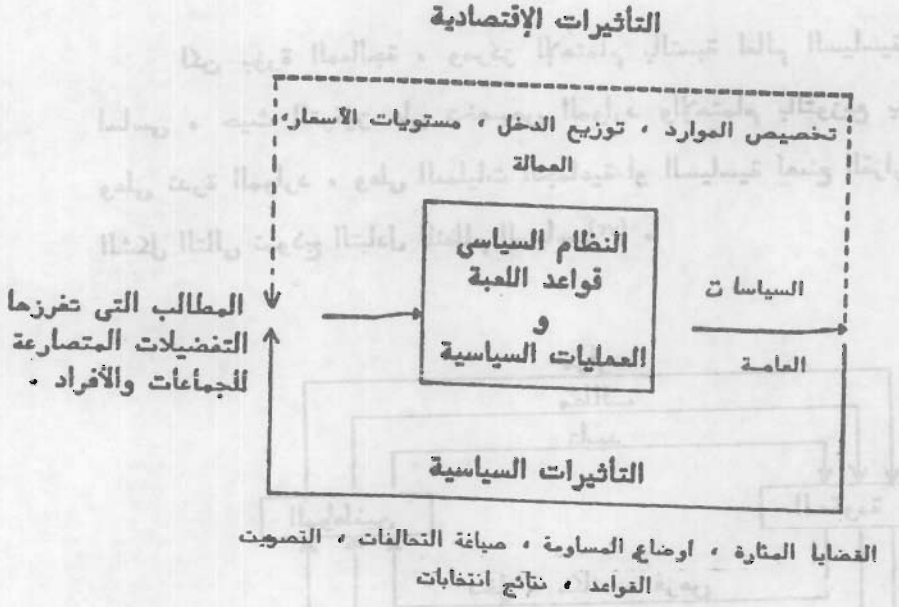

شكل يبين نموذج متشل للنظام السياسى

فالقضايا المتعلقة بتخصيص الموارد وتوزيع المنافع والنفقات ، وميكانيزمات

الضبط من اجل التكيّف ، النمو ، والاستقرار ، كلها تجد ان النظام يفرز حلولاً لها في شكل "إقتصاد عام" والذى يختلف عن " إقتصاد السوق " بسبب عملياته الداخلية للاختيار الجماعى . وإهتمام علماء السياسة بمعالجة النظام فى ظل الديمقراطية يماثل إلى حد كبير إهتمام علماء الإقتصاد ، وتاريخياً ، بإقتصاديات السوق الخاصة ، وإن كانت ترد قيود كثيرة مصدرها وجود كثير من النظم غير الديمقراطية فى العالم(٧٠).

لكن بؤرة المعالجة ، ومركز الإهتمام بالنسبة لعالم السياسية يختلف بشكل اساسى ، حيث التركيز على تخصيص الموارد والإهتمام بالتوزيع بين متنافسين ، وعلى ندرة الموارد ، وعلى العمليات الجماعية او السياسية لصنع القرار(٧١) ... ويوضح الشكل التالى نموذج التبادل للنظام السياسى(٧٢) .

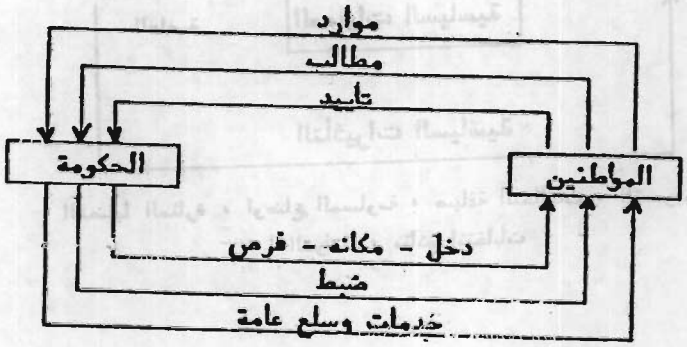

نموذج التبادل للنظام السياسى

هكذا فإن التاكيد والمبالغة فى الإهتمام بجانب بقاء النظام ، وبالطابع الإستاتيكى ، والمحافظ ، فتح الطريق امام نظرية الاختيار العقلانى الرشيد ، وما يرتبط بها من نماذج(٧٣) .

لقد تبنى إيستون " التفاعل " كوحدة للتحليل . لكل تظل هنا اشكالية يثيرها التساؤل : ما الذى يشكل تفاعلاً ملائماً من الوجهه السياسية ؟[٨٠] لكن إيستون يقدم صيغته المبكرة " التخصيص السلطوى للقيم من أجل المجتمع " كإفتراض ، على الأقل ، إجرائى ، يتضمن هذه التفاعلات السياسية ، ويقترح مصطلح " العضو " ، فالأشخاص الذى يلعبون ادواراً سياسية سوف يشار إليهم بإعتبارهم " اعضاء " والنظام السياسى ، من هنا ، سوف يحدد على انه مجموعة من التفاعلات ، مجرده عن السلوك الإجتماعى العام ، فى المجتمع ، من خلال ما يرتبط به من توزيع سلطوى للقيم[٨١] .

وهكذا فإن تحليلات إيستون قد اختزلت الانسان كظاهرة ، إلى تفاعلات ، فتظل وحدات النظام ، كما هو الحال بالنسبة إلى حدوده ، ذات طابع تحليلى . ويصف كريس تحليل إيستون للنظم عامة بإعتباره " نظرية رسمية " بمعنى إستخدام فئات مجردة لترتيب البيانات "[٨٢] ومن ثم فان تحليل النظم لدى ايستون لايشكل فى رأى كريس ، لفه متميزه ، او منهجا ، وانما اطار نظرى ، قد يمكن توقع ان يثبت يوما ما انه قادر على توجيه البحث السياسى ، وتنظيم المعالجه السياسيه بطريقه مرضيه[٨٣] ولكن ثمة حاجه وضرورة للتعرف اكثر على ما يمكن ان يقدمه مثل هذا الاطار ، وعلى اى نوع من القيم والمعرفه يمكن ان يوضح ، وعلى امكانيات وقوته التفسيريه ، وكبرنامج للمعالجه ، وطريقة لفهم العالم النظرى[٨٤] .

وقد حاول بعض الكتاب مناقشة شكل نموذج النظام ، الذى طرحه ايستون فى صيغته الاوليه ، والذى يشير الى ان السياسه فى مجتمع ما ، تعمل بنفس النظام البيولوجى حيث نظام متكامل ، وعلى درجة من التعقيد ، للكائن الحى ، واستبعاد اى نظام فرعى ، او جزء ، يعرض حياة النظام ، وبقائه ، للخطر[٨٥] .

ويفترض ان المطالب ، المدخلات ، يشعر بها صانعوا القرارات الحكوميه ، الذين يدخلونها فى اعتبارهم عند عملية اتخاذ القرارات ، والسياسات ، السلطويه ،

وهذه القرارات تلقى بتاثيراتها فى البيئه الاقتصاديه والاجتماعيه والسياسيه . وهى قد تحظى ، اولا تحظى بميل وتعاطف المواطنين . والمواطنون يعبرون ثانيه عن مطالبهم من جديد ، وتعد هذه التغذيه الراجعه ذات اهمية محوريه لانها ترتبط بالنظام ، وقد توجهه الى ان يعدل قراراته وسياساته المبكره . وهنا يثور تساؤل : هل ينطبق نموذج النظم فى كل الحالات ، ام انه يفشل احيانا ، فى ظل نظم كتلك التى كان يقودها هتلر او ستالين ، بعباره اخرى ، كم من الاهتمام يمنحه الدكتاتور لمطالب مواطنيه ؟

لاشك ان هذه الانتقادات تمثل اهميه كبيره ، ويبدو انها توجه ، بوجه خاص ، الى المفهوم الغامض لعملية التحويل ، او التفاعل داخل النظام ، او مايعرف بالصندوق الاسود(٨٦) . وتقود هذه الانتقادات بعض الكتاب الى محاولة تعديل لنموذج النظام ، الذى طرحته كتابات ايستون اساسا ، لتعكس واقعا افضل ، بحيث توضع عملية التحويل للحكومة فى البدايه ، وليس المواطنون وما يمثلونه من مطالب وتاييد ، لانه قد لا يكون واقعيا فى كل الحالات ان يبدا النموذج بحركه وتفاعل المواطنين ، ثم يستجيب الزعماء ، وهذا النموذج المعدل يفيد فى الملاءمه مع الحقيقه المتغيره دائما . ويوضح الشكل التالى هذا النموذج المعدل(٨٧) :-

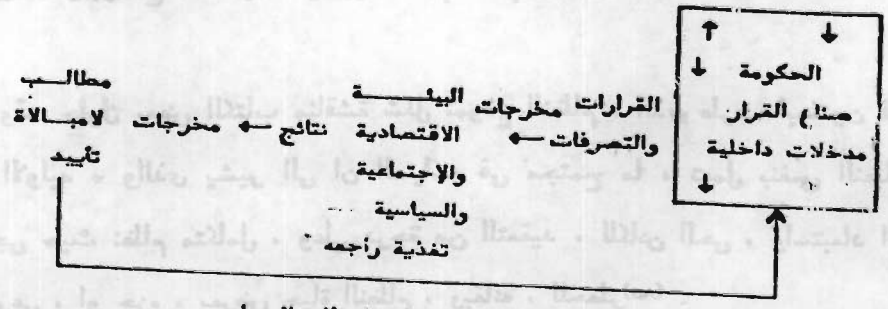

النموذج المعدل للنظام السياسى

من ناحية اخرى فإن اهتمام إيستون بالحدود قد اثار انتقادات اخرى ، وتساؤلات : كيف يمكن التمييز بين النظام السياسى ، والنظم السياسية الأخرى الإقتصادية او الثقافية او الإجتماعية ؟ وما إمكانية تناول ، وتفسير ، النتائج السياسية دون إشارة إلى الظواهر الإقتصادية والثقافية والإجتماعية المرتبطة بها ؟

وتثير مسالة الحدود صعوبات تحليلية ، خصوصاً بالنظر إلى النظم المتشابكة والمتداخلة ، والمديدة ، للفعل او الحركة ، والتى يصعب الفصل الواضح بينها . فضلاً عن مشكلة التاكيد على نظام واحد دون غيره من جانب بعض محللى النظم ، مثلا برسونز الذى افترض ان النظام الاجتماعى هو الأساس ، وانه يتضمن النظم الأخرى ، وهربرت سبيرو الذى يؤكد على النظام السياسى .

يضاف إلى ذلك مشكلة اخرى تتعلق بإمكانية فصل النظام ، عن النظم الفرعية ، وقد تفوق هذه المشكلة فى بعض الحالات المشكلات المجردة الأخرى ، وقد تفوق مشكلة تمييز النظام عن بيئاته المحيطة به . ويرى البعض ان إيستون لم يستطع ان يميز بين ما هو سياسى وما هو غير سياسى ، لذا فإن إبتعاده عن حل مشكلة الحدود بدا واضحاً[٧٤] .

كما تجنب إيستون العنصر الإنسانى فى تحليلاته ، التى تركز إهتمامها على الحركة والتفاعل ، والسلوك ، ولم تهتم إلا بشكل محدود ، بالشعب . ولعل إيستون بسبب حاجته إلى مفاهيم التماثل والعمومية قد إستبعد الأفراد ككيانات بيولوجية من النظام السياسى ، فالنظام ليس بالتاكيد مكون من مجموعة افراد ، إنه نظام للسلوك ، فهو بمثابة مجموعة من " التفاعلات الملائمة " ، ولم يمنح إيستون الشعب ، والجماعات ، إهتماماً لائقاً[٧٥] .

ثانيا : إنتقادات تتعلق بالإمكانيات الاجرائية

فالإطار الذى قدمه إيستون لم تتوافر فيه مقومات النظرية . بل ويشكك بعض الكتاب ، امثال هولت وريتشاردسون ، فى إعتباره نموذجاً ، كما سبق توضيحه ، فاطار النظام لدى إيستون يتضمن فحسب بعض التعميمات ، وهو يتضمن عدد قليل من الإفتراضات ، إن جدت اصلاً ، القابلة للاختبار(٧٦) . لكن رغم ان النتائج الإمبيريقية ، والتاثير على السياسة المقارنة ، لهذا الأطار ، كان محدوداً ، فإن افكار إيستون كان لها تاثيرها على دراسة علم السياسة .

وقد حدد جون استن الاطار الذى يستخدمه إيستون بإعتباره يرتبط بإقترابين ، سبق توضيحهما ، الأول ميكانيكى يرجع اساساً إلى نيوتن ، وهو منهج تحليلى يستند إلى صحة التفسير الذى يربط بين السبب وما يترتب عليه من اثر محدد ، والثانى بيلوجى او عضوى ، ويرجع الى وجهة نظر كانت شائعة بين كثير من علماء الأحياء(٧٧) .

وهناك من يرى ان النظام لدى إيستون يماثل تقريبا النظام عند علماء التشريح ، الذين يعمدون إلى تفتيت الكائن الحى إلى نظم للتنفس ، وللهضم ، وللتناسل ، وغيرها من نظم . والجمع بين المنهجين ، البيولوجى والميكانيكى ، معناه رؤية النوع من الآلة التى تعيش على قيد الحياة ، او الآلة التى تحيا ، وهى رؤية علماء الأحياء لميكانيكا نيوتن(٧٨) .

ويعتقد بول كريس ان رؤية إيستون لعلم السياسة رؤية إصطناعية ، او زائفه ، للنظام ، وللعضو فى هذا النظام ، ويصفها بانها جوفاء ، او فارغة ، وتفتقر إلى اى جوهر او مضمون(٧٩) .

ثالثا : إنتقادات تناول التوجهات الايديولوجية

إذا ما تتبع الباحث ، ونقب ، عن الأسس والتوجهات الإيديولوجية ، للأطار النظرى ، او النظرية ، او النموذج ، الذى حاول ديفيد إيستون الوصول إليه وبلورته ، وإذا ما حاول الباحث تتبع تطور افكار ومعالجات إيستون ، فى إتجاه نظرته الشاملة لعلم السياسة ، فإن هناك بعض الإنتقادات التى يمكن تحديدها بناء على ذلك .

فلقد جاءت محاولة إيستون فى اطار أزمة فكرية وثقافية فى العالم الغربى ، واهتم إيستون بوجه خاص بالضعف ، او الإنحسار الوشيك للديمقراطية الليبرالية ، واعتبر ان علم السياسة يمكن ان يقدم ، بإعتباره علما تطبيقياً نظاماً للإصلاح ، وفى الوقت ذاته وجه إيستون اللوم إلى المدرسة التاريخية ، لإفتقارها إلى نظرية سياسية(٨٨) .

وقد اشار إيستون إلى نظرية القيم للمدرسة التاريخية ، وهاجم فكرة النمط المثالى لماكس فيبر ، التى تستخدم العلم الاجتماعى ، المتحرر من القيم ، وإعترف فى الوقت ذاته باهمية النظرية السببية ، او العلمية ، واعتبر ان النظرية السببية ونظرية القيم مرتبطان بعضهما ببعض ، ولا يمكن الفصل بينهما(٨٩) .

وفى كتاباته المبكره - ١٩٥٣ - اكد إيستون على العلم ، والنظرية السببيه ، وفى كتاباته المتتابعه بعد ذلك ، اصبح اكثر تفاؤلا بشان جوانب وإمكانيات لعلم سياسة حقيقى ، واخذ تاثير المدرسة السلوكية يتزايد على كتابات ديفيد إيستون ، وافكاره ، ليدعم من هذا التفاؤل ، ويعززه ، بشكل متزايد ، واخذت تتناقص اهمية نظرية القيم فى فكره نسبياً .

لقد تضمنت المرحلة المبكرة من كتابات إيستون وصفاً وتصويراً لعناصر إطاره النظمي ، وصاحب هذه المرحلة التكوينية لفكره فصلاً بين النظرية والفكر ، وبين الممارسة والواقع ، وميز إيستون في هذه المرحلة بين تحليل النظم ، والتحليل الوظيفي ، فالأول يفترض إن النظام يبقى ، بينما يأخذ في التحول والتكيف بشكل خلاق ، والثاني يتضمن شروطاً تتضمن نوعاً من الاستقرار والتوازن والتماسك . وتعتبر بعض الدراسات ان تاكيد إيستون مرة اخرى ، في عام ١٩٦٩(٩٠) ، على البحث التطبيقي ، وعلى الإهتمام بالإفتراضات القيمية في البحث ، يعني تحول إيستون مجدداً إلى المرحلة المبكرة من كتاباته السابقة(٩١) .

وتصل مثل هذه الدراسات إلى إن إيستون قد اخفق في تحديد هدف المعالجة السياسية ، واخفق في ان يقدم تعريفا ملائماً للمجتمع ، واخفق في التعامل مع التغير السياسي ، ومعالجته ، في لغة ، وصيغة اخرى ، غير لغة التجريد ، والتي قادته إلى نتيجة ذات طابع غير إنساني(٩٢) . لقد بالغت تحليلات إيستون في التمثيل بعلم الإحياء ، إلى درجة دفعت البعض إلى التساؤل عما إذا كان التحليل النظمي بمثابة نوع من التطبيق لعلم الإحياء على علم السياسة ، او ما يسميه البعض بعلم البيولوجيا السياسية ، وعما إذا كان يهتم بمسائل سياسية في طبيعتها ؟ إن من الضروري التمييز بين المشكلة البيولوجية لقضايا : كيف نحيا ؟ وكيف تستمر الحياة ؟ وبين المشكلة الأخلاقية لطريقة الحياة التي يجب ان يختارها الإنسان . إن ما هو سياسي ينبغي فهمه بالتمثيل والتناظر مع علم الأخلاق ، وليس مع علم الأحياء(٩٣) .

ولقد وجهت إنتقادات إلى المنهج الذي استخدمه إيستون بإعتباره غامض ، ويبدو ان إيستون قد خلق وعياً وإهتماماً بالمدرسة التاريخية ، لكن يبدو ايضاً انه وافق على التقليد الوضعي الذي يرى ان العلوم الاجتماعية يمكنها ان ترسي معرفة نظرية يمكن الإعتماد عليها ، بتكون صحيحة موضوعياً ، إذا ما جرى اختبارها لإثبات صحتها(٩٤) .

ثانيا : تحليل النظم فى تطبيقات أخرى

يتناول البحث التطبيقات الأخرى لتحليل النظم ، والتى قام بها علماء آخرون ، غير ديفيد إيستون ، وبوجه خاص كل من كارل دويتش ، وهربرت سبيرو ، ومورتن كابلن .

أ - تحليل النظم عند كارل دويتش

حاول كارل دويتش ان يقدم ، فى تحديد واضح متميز للمفاهيم الأساسية التى إستخدمها ، اكثر من مجرد " وجهة نظر أوجسد للأفكار والافتراضات الأولية " ، من خلال التوليف بين نظرية الاتصالات ، والنظرية السياسية ، فى محاولته لطرح اساس للمقارنة بين قنوات الإتصال المعقدة فى المجتمع الحديث ، بالنظام العصبى للجسد .

والحقيقة إن ما قدمه دويتش يحظى بتقدير كبير من العديد من الباحثين ، والذين منهم من اشار إلى ان دويتش ذاته لم يكن عادلاً فى تقييم منهجه ، ووضعه فى مكانته اللائقه به(٩٦) .

وقد قام دويتش بمسح لأدبيات النظرية السياسية الكلاسيكية ، ثم تحول إلى دراسة المنهج ، والميكانيزم الذى يطبق فى علوم الفلك والجاذبية ، وغيرها من مناهج ، وإكتشف ان فكرة النمو والتطور ، وافكار كالأبتكار وغيرها كانت موضع تجاهل ، واستبعدت تماماً ، فى الأدبيات الكلاسيكية ، التى تناولت دراسة الكائن العضوى الحى ، وهى الدراسة التى خضعت لاعادة صياغة ، وتنقية وتطوير لمرات عديدة ، من جانب علماء الأحياء المعاصرين ، الأمر الذى سمح بتحديد نقاط للمناقشة ، وتتابع الخطى ، كالتغذية الراجعه ، وغيرها من مفاهيم اصبحت ذات مغزى هام فى النظرية العامة للنظم ، وفى نماذج الاتصال(٩٧) .

كذلك تعرف دويتش على مفهوم آخر يرتبط باهمية الخبرة التاريخية ، وما تتضمنه من صراع او حوار ، والتى تناولتها فى صياغة قوية ومحكمة كتابات هيجل وماركس فى القرن التاسع عشر ، وتوينبى فى القرن العشرين .

كذلك ناقش دويتش مدلولات واهمية النماذج الجديدة فى العلوم الاجتماعية ، وما قدمته مساهمات ماكس فيبر ، ثم تحول إلى التحليل البنائى الوظيفى ، واهتم بنظرية المباريات ، ونظريات صنع القرار ، وما تتضمنه من افتراضات ، وقد حاول دويتش ان يقدم تحليلات لتشمل علم السياسة باكمله ، سواء فى تناوله للمجالات الداخلية او الدولية(٩٨) .

وركز دويتش على إستخدام مفاهيم السبرناتيقا - والتى تعرف بانها علم الاتصال والتحكم او الضبط - خصوصاً تلك المرتبطة بصنع القرار.

وفى الواقع فإن التوسع فى مفهوم النظام قد غذته ، وساعدته كثيرا ، نظرية السبرناتيقا ، والثورة السبرناتيقية(٩٩) ، حيث يمكن استخدام مفهوم النظام لكى يطبق على الدولة - الأمة ككل ، بإستخدام مفاهيم واضحة محددة لا تثور حولها شكوك ، وحيث الدراسة النظامية تدور حول الاتصال والتحكم فى مختلف انواع التنظيمات ، ومن وجهة نظر السبرناتيقا ، فإنه يفترض بأن كل التنظيمات متشابهة فى سمات اساسية ، وكل من هذه التنظيمات يتكون من عناصر يجمع الاتصال بينها فى شكل متماسك .

وفق ما ذهب إليه دويتش فإن الحكومة تعتبر ضمن هذه التنظيمات ، مما يبرز الأهمية المركزية لتلك المفاهيم فى التحليل السياسى(١٠٠) .

لقد جاءت تحليلات دويتش مستنده إلى مفاهيم السبرناتيقا للإتصال والتحكم .

والذاكرة والادراك . والتغذية الراجعة . والتوازن . وراجع دويتش مفهوم علم السياسة باعتباره " توجيه أو تحريك للسلوك الإنساني "(١٠٠) . ولذلك فمن الممكن ان يصاغ علم السياسة من خلال تلك العمليات للاتصال والذاكرة والتغذية الراجعة وغيرها .

وقد أعتبر دويتش الذات الفردية هى النسق الأصغر . فى علم السياسة . فالفرد . وما يضمه الجسد من ذاكره ودوافع وتعقيدات . هذا النسق الطبيعى والسيكولوجى للذات الفردية موضع لدراسة الأطباء وعلماء النفس وغيرهم . والنسق الأصغر الذى يلى الذات الفردية هو الأسرة . وغيرها مما يسمى بالجماعات الأولية - والتى يتراوح عدد اعضائها ما بين عضوين إلى ١٥ عضوا - وغالبا" ما تخضع مثل هذه الجماعات لدراسات علماء الاجتماع والنفس وخبراء الادارة(١٠٢) .

إن التنظيمات ينظر إليها . بشكل عام . كنظم للمعلومات . والتى تمثل علاقة نمطية بين الأحداث . والاتصال هو تحول لتلك العلاقات النمطية . والقنوات هى ممرات او مسارات من خلالها تتحول المعلومات .

وهذه المفاهيم الثلاثة : المعلومات والاتصال والقنوات تشكل اساسا" لتحليلات دويتش . فى نظام لعملية الاتصال . ويفترض دويتش إن هذا النظام مزود بادوات او اسلحة للضبط والتحكم . او لإرشاد النسق . ومنظم لضبط الحركة .

فالنظام يمتلك المعلومات . سواء كان مصدرها من داخل او من خارج النظام(١٠٣) . حول اهداف وحالات معينة . لانجازها . وهذه الأهداف قد تشير إلى بقاء واستمرارية النظام ذاته . بمعنى تقييد المتغيرات داخل حدود . او قيود معينة . كما قد تشير الأهداف إلى نوع - اكثر إيجابية . بمعنى إن إنجاز مجموعة من هذه الأهداف والحالات لا يرتبط مباشرة بمجرد بقاء النظام . وإنما اكثر من مجرد بقائه واستمراريته .

وعندما يكون النظام فى حالة تختلف عن هدف معين ، فإن اشارة خطأ سوف تتولد . وتقوم الميكانيزمات الداخلية للنظام - فى مفهوم كارل دويتش - بمجاراة ومقارنة إشارة الخطأ مع الذاكره ، وهى الذاكره التى تتضمن معلومات حول حالة النظام ، وسلوك وخبرات تم تعلمها مسبقاً ، فى حدود ما يتمتع به النظام من مقدرة فى ذلك .

وينتج عن هذه العملية للمقارنة ، المبادرة بحركة تصحيحية ، وهذا يقودنا إلى مفهوم التغذية الراجعة . ذلك أن شبكة التغذية الراجعة(١٠٤) حول تأثير الحركات التصحيحية السابقة ، وما ترتب عليها من نتائج . وهكذا فإن المعلومات تؤثر فى توليد إضافات تصحيحية جديدة ، فى عملية ديناميكية مستمرة ، حتى يتحقق الهدف ، فى اطار نوع من التوجيه الذاتى .

وعلاقة النظام بالبيئة محورية فى فهم التغير ، وقد ميز دويتش بين نوعين من البيئة ، هما البيئة الخارجية : بمعنى العالم الخارجى للنظام ، والبيئة الداخلية : اى العالم الداخلى للنظام ذاته ، وهذه قد تكون أقل وضوحاً من البيئة الخارجية ، لكن تاثيرها يمكن أن يكون حاسماً فى طريقة عمل النسق(١٠٥) . كما اشار دويتش الى الحدود التى تفصل النظام السياسى عن البيئة المحيطة به ، وهذه الحدود قد تكون فى شكل خطوط فاصلة ، او مناطق حدودية(١٠٦) .

واعتبر دويتش النظام السياسى جزء من النظام الاجتماعى ، وقد اشار الى وظائف النظم الاجتماعية ، وفقاً لعالم الاجتماع تالكوت برسونز ، والذى اوضح أن هناك اربعة وظائف اساسية لكل نظام إجتماعى ، أولها : تتعلق بالحفاظ على النظام وما يمثله من انماط اساسية خاصة به ، وخصوصا انماط الحكم والضبط ، وثانيها يتعلق بتكيف النظام مع الظروف المتغيرة ، سواء كان مصدرها البيئة الطبيعية ، او البيئة البشرية بمعنى النظم الأخرى ، وثالثها : تتعلق بتكامل وظائفه او مهامه المختلفة

ورابعها : تتعلق بالأهداف التى تتجاوز مجرد الحفاظ على انماط النظام ، وتكيفها وتكاملها ، ويجب التحرك لإنجاز وبلوغ هذه الأهداف .

ويؤكد دويتش أن فحص ودراسة هذه الوظائف الأساسية الأربعة للنظام الإجتماعى ، كما يتصورها برسونز ، توفر امكانية التعرف على السياسة ، والنظم الفرعية فى المجتمع ، فى سياق هذه الوظائف(١٠٦) .

فالحفاظ على انماط المجتمع - الوظيفة الأولى - يقوم بها نظم فرعية او فاعلون كثيرون ، لكن النظام الفرعى الذى يكرس اكثر الموارد والوقت من اجل هذه الوظيفة ، هى الأسرة او العائلة ، والتى تحافظ على إنتقال الثقافة ، وعلى حياة افراد المجتمع وتلبية مختلف حاجاتهم . اما النظام الفرعى الذى يكرس إهتماماً أكثر لوظيفة التكيف ، فهو النظام الإقتصادى ، حيث تيسر الأنشطة الاقتصادية عملية تحويل الموارد الطبيعية ، من خلال العلم والتكنولوجيا ، وما تمثله من شركات ومؤسسات مختلفة ، إلى سلع وخدمات وغيرها مما يلبى حاجات المجتمع . اما النظام الفرعى الذى يلبى وظيفة التكامل ، فإنه يتمثل فى النظام الثقافى اساساً ، بما يضمه من جوانب ومؤسسات للتعليم والدين والفكر والفلسفة . اما النظام الفرعى فى المجتمع الذى يرتبط بوظيفة احراز الأهداف وتحقيقها ، فهو الحكومة ، او النظام السياسى بشكل عام . فالحكومة هى التى تنظم المجتمع من اجل تحقيق ومتابعة الأهداف التى اختارها المجتمع . وهذا يتضمن تصوراً لترتيب او مخطط لهذه الأهداف ، وإيجاد الوسائل لتنفيذها ، او الطريق نحو بلوغها(١٠٧) .

ويؤكد دويتش على علاقات الاعتماد المتبادل بين هذه النظم الفرعية ، والتغيرات فيما بينها ، فافراد الأسرة يرتبطون بأدوار فى النظام الاقتصادى ، والتعليمى والسياسى(١٠٨) .

وهذه النظم الفرعية الأربعة ، وفقا لبرسونز ، توجد فى كل النظم الاجتماعية المعروفة . إلا ان الوظائف الأربعة التى تؤديها هذه النظم الفرعية تتعلق بحفظ وابقاء المجتمعات كما هى ، ولا تشير بالدرجة الكافية إلى طريقة التغير التى تسلكها المجتمعات . ويبدو أن برسونز - فى رأى كارل دويتش - يفترض بان كل النظم الإجتماعية تميل إلى التصرف وفق الطريقة التى بدأت بها وتأسست عليها . بينما من المعروف الان ان العديد من النظم الاجتماعية فى العالم قد تغير ، وبعضها واجه تغيرات بالفعل(١٠٩) .

لذلك يقدم دويتش وظيفتين رئيسيتين ، إلى جانب الوظائف الأربعة التى اشار اليها فى كتابات برسونز ، وهما وظيفتان هامتان بالنسبة للنظم التى يشكل التغير جانباً اساسياً من سلوكها :

اولاهما : وظيفة تغير الأهداف ، بمعنى ان النظم لا تتابع فحسب الأهداف القديمة ، وإنما قد تتخلى ، من وقت لآخر ، عن الأهداف القديمة لتحل محلها اهداف جديدة .

وثانيهما : وظيفة التحوّل الذاتى ، فالنظام قد يعمد إلى تغيير وتحوّل فى جانب من بنيته التى قد يكون التغير فيها بطيئاً نسبياً ، اى ان التغير لا يتناول فحسب الأهداف ، بل قد يتناول الأبنية الأساسية المختلفة ، وانماط السلوك فى النظام ، وإن كانت العناصر الهامة فى هويتها قد تظل دون تغير(١١٠) .

وهذا التعديل الاضافى الذى اشار اليه دويتش فى تحليل النظم لدى برسونز قد يجعل من الممكن - فى رأى دويتش - استنتاج تلك الوظائف الأساسية للتغيرالسياسى والاجتماعى . وتغير الأهداف والتحول الذاتى يرتبطان دائماً بمشكلة تكامل المجتمع .

فالنظام الاجتماعى يغير اهدافه ، وبنيته الداخلية لأن بعض العناصر او الوظائف بداخله لم تعد متوافقة مع العناصر او الوظائف الأخرى . ولأن النظام لم يعد قادراً على ان يحيا ، مع نفسه او مع بيئته ، فإنه يبدأ فى تغيير اهدافه ، او التحول فى ابنيته . ولذلك فإن تغيير الأهداف والتحول الذاتى تمثل جوانب أكثر تعقيداً للوظيفة الأساسية للتكامل(١١١) . ويعتبر دويتش ان أحد السمات او الخصائص الهامة للنظم السياسية ، وربما اهمها جميعا ، هى قدرتها على " التوجيه الذاتى " او الاستقلال ، وهى القدرة التى تجعل الحكومات ، والجماعات السياسية تتمتع بالحيوية والفاعلية(١١٢) .

وتلعب الذاكرة وظيفة هامة فى هذا التوجيه الذاتى ، والاستقلال للنظام ، فهى تعمل على تخزين المعلومات او الرسائل الحالية ، واستدعاء المعلومات السابق تخزينها ، ومقابلة او مقارنة ومجاراة المعلومات كما سبق الإشارة(١١٣) . وإمتلاك الذاكرة يعنى فى رأى دويتش توافر مصدر للهوية والاستقلال(١١٤) .

فالهوية ، فى رأى دويتش ، هى إدراك ووعى للذاكرة الخاصة لفاعل ، فرد او جماعة ، ولذات ، إنها المقدرة على تذكر ان المرء يستطيع ان يتذكر . " إن هذا هو انا ، نفسى " يقول الفرد . " إن هذا هو نحن ، انفسنا " يقول اعضاء الجماعة الذين لديهم شعور او احساس بهويتها ، وإنطلاقاً من هذا الشعور بهوية الجماعة فإنه يعتبر مجرد خطوة اولية لتحقيق تفضيلات سياسية ، ولإتخاذ تصرفات سياسية .

والذاكرة تصبح ايضاً مصدراً للاستقلال ، بمعنى القدرة على تطبيق المعلومات ، من الماضى على قرارات فى الحاضر . وبدون الذاكره ، وبدون ماضى فعّال ، لا يمكن ان يوجد إستقلال . ولتحقيق إستقلال كامل يجب ان تتوافر ذاكره ، لتخزين المعلومات السابقة ، والتى يمكن إستدعائها ، وتغذيتها عكسيا للقرارات فى الحاضر ، ومن الضرورى توافر شبكة التغذية الراجعة(١١٥) .

وشبكة التغذية الراجعة ليست إلا شبكة من شبكات الإتصال التى عن طريقها يمكن للنظام استكشاف مدى الاقتراب ، او الابتعاد ، عن الهدف ، وتقوم هذه الشبكة بتغذية النظام بشكل دائم بالمعلومات ، ليتكيف النظام من جديد ، وفق هذه المعلومات التى يتم تنقيتها ، محاولاً تحقيق الهدف ، والتحكم الذاتى بشكل يضمن نوع من التوازن . كما توفر هذه الشبكة إمكانية تعلم النظام ، المعلومات السابقة ، ويتم إتخاذ القرار بناء على المعلومات المتاحة حتى لحظة إتخاذ هذا القرار(١١٦) .

كما تناول دويتش بالتحليل مفهوم الانجاز ، ومحصلة عمل النظام السياسى ، والنتائج التى تحققت فعلاً من خلال سلوك وحركة النظام ، آخذاً فى إعتباره مقدار التكلفة التى تحملها النظام فى سبيل احراز وتحقيق هذه النتائج(١١٧) . كذلك تناول اهمية متابعة النظام ، وتحقيقه ، للقيم التى يتطلع إليها الشعب فى الوقت الحاضر ، وقدرته على متابعة قيم جديده ، فى المستقبل ، وربط دويتش ذلك بمستويات الحياة فى المجتمع ، وبالزعماء ، والثقافة السياسية السائدة ونمط السلطة السياسية(١١٨) .

وقد لاحظ ان ثمة اربعة إنماط للنظم السياسية ، فهناك نظم مدمرة لذاتها ، وهى نظم تتفكك عادة وتتحلل فى بيئاتها ، ونظم من غير الممكن ان تحيا ، فهى غير قابلة للحياة ، وتصادف صعوبات تحول دون بقائها واستمراريتها فى بيئاتها . ونظم قادرة على ان تحيا ، ويرجح لها ان تستطيع البقاء على قيد الحياة فى ظل ظروف بيئاتها . ونظم مطورة لذاتها ، والتى تتمتع بإحتمال اعظم واقوى لأن تبقى وتحيا وتتغلب على ظروف البيئة(١١٩) .

ويعتبر هولت وريتشاردسون إن تحليلات كارل دويتش تحمل ، على الأقل جزئياً ، عناصر ومتطلبات النموذج العلمى(١٢٠) ، و إن كان هناك من يرى ان دويتش لم يحكم صياغة لنظرية النظم بشكل كامل ، بالرغم من ان دويتش قد رأى بوضوح تطورات متوازية فى علم الأحياء ، وفى العلوم الاجتماعية(١٢١) .

ومتابعة تحليلات دويتش توفر للباحث السياسى العديد من الأفكار والافتراضات ، حول قضايا الفاعلية وكفاءة النظام ، والتوازن ، والاستقرار ، وتنظيم الحكومة ، وايضاً الادارة ، والقومية وغيرها من افكار تناولها بأسلوب تحليلى متميز(١٢٢) .

وهناك من يعتقد ان كتابات دويتش ، والتى إتسعت إلى مجالات علم السياسة المختلفة ، بما فيها القيم ، والعلاقات الدولية ، وغيرها ... لا تقدم محاولة جادة لبلورة نموذج او نظرية محددة ، وإنما تقدم فحسب مجموعة من المقدمات والمبادىء الأساسية ، كالمعلومات والإتصال والقنوات والذاكره ... والتى يمكن ان تقود إلى نموذج ، او إلى بلورة إفتراضات اكثر احكاماً ، حول وصف وتحليل الحكومة ، والحياة السياسية ، وإن كتابات دويتش تحمل ، على الأقل بشكل عام ، افتراضاً بان الظاهرة السياسية يمكن تفسيرها من خلال مثل هذا النموذج ، الذى يمكن تطويره وبلورته(١٢٣) .

ويعتقد هولت وريتشاردسون إن إستخدام مثل هذا النموذج يتطلب بحثا طويلاً ، وادوات منهجية ، وجهداً مكثفاً . ويشيران إلى ان القضايا المركزية التى يجب ان يتضمنها النموذج الناجح ، لم تكن ، على ما يبدو ، فى حسبان دويتش ، واهتمامه الجاد ، عندما قام بمحاولته(١٢٤) .

ب - نموذج هربرت سبيرو

إستمد هربرت سبيرو ، تصوره الشامل للسياسة المقارنة ، من كتابات إيستون المبكرة حول النظام السياسى(١٢٥) ، ويحدد سبيرو النظام السياسى بإعتباره جماعة او مجتمع يرتبط بعمليات لصياغة ومعالجة القضايا ، وهى قضايا ترتبط بالمشكلات وبالحاجات ، وبالأهداف ، والتى قد يثور بشانها الاتفاق او الإختلاف(١٢٦) .

وقد اعتبر سبيرو السياسة بانها العملية التى من خلالها يعالج المجتمع مشكلاته . فالمجتمع يضم الشعب الذى يكون على وعى بالأهداف العامة ، المنشودة ، والمشكلات تشكل عقبات فى الطريق نحو الأهداف ، وهى فى حاجة إلى الإعتراف بها لكى تصبح حيّة ، وملائمة سياسياً ، وإذا ما وجد إتفاق تام فى المجتمع بشان مشكلة ما ، بعد ان يكون قد تم الاعتراف بها ، فمثل هذه الحالة لا تحمل طابع السياسة(١٢٧) .

وفى هذا المعنى فإن المجتمع ، او الجماعة(١٢٨) ، الذى يتفق اعضاؤه دائماً حول مشكلات لا يشكل نظاماً سياسياً . ومثل هذا المجتمع قليل الوجود نسبياً ، إن وجد اصلاً ، لأن اغلب المجتمعات تشكل فى الواقع نظم سياسية . ففى كل المجتمعات تقريباً تحدث الخلافات لتمثل " قضايا " ، ومن ثم فالنظام السياسى يرتبط بمثل هذه المجتمعات ، حيث خلافات ، وتطوير للقضايا(١٢٩) .

الشرط او المتطلب الأساسى للنظام السياسى هو الإختلاف ، فالسياسة ترتبط بوجود تلك المظاهر من خلافات ، قد تكون ضيقة او واسعة ، مرنة او جامدة .

إن اى مشكلة تدخل إلى عالم السياسة ، حالما إعترف اعضاء المجتمع بها ، وإختلفوا بشانها ، وتغادره عندما تحل المشكلة ، ويتم الاعتراف بهذا الحل . وبين بداية ونهاية هذه العملية فإن القضية ، او القضايا التى تولدها او تفرزها المشكلة تمر عبر مراحل ، تتتابع خلالها السياسة . ، ويأخذ هذا الانسياب المتتابع للمراحل الآتية :-

(١) صياغة القضايا ، وتتم عقب ان يتم التعرف على مشكلة ما ، بإعتبارها قضية او مسالة ، وتتحدد الأهداف التى تمهد للحل .

(٢) احكام الصياغة ، وترتبط هذه المرحلة بتمحيص ودراسة الحلول البديلة للمشكلة .

(٣) التمهيد للحل ، وتتضمن تضييق هذه الحلول البديلة ، إلى ان تتحول إلى بديل واحد او سياسة وقرار واحد .

«٤» حل المشكلة ، بمعنى تحقيق الأهداف المحددة منذ البداية ، والاعتراف بهذا الحل(١٣٠) .

ولأن المشكلات هى عقبات تقف فى طريق الأهداف ، فإن الاختلافات قد تكون حول جوهر الأهداف ، أو الاجراءات المستخدمة للإقتراب منها . والقضايا ينظر إليها على أنها تتضمن مسائل أساسية طويلة المدى ، أو مسائل ظرفية قصيرة المدى .

ويمكن تمثيل هذه المشكلات والمسائل فى شكل ، يوضح المحور الراسى فيه : المشكلات الإجرائية ، والجوهرية ، ويمثل المحور الأفقى : المسائل الظرفية قصيرة المدى ، والمسائل الأساسية طويلة المدى ، على النحو الآتى :-

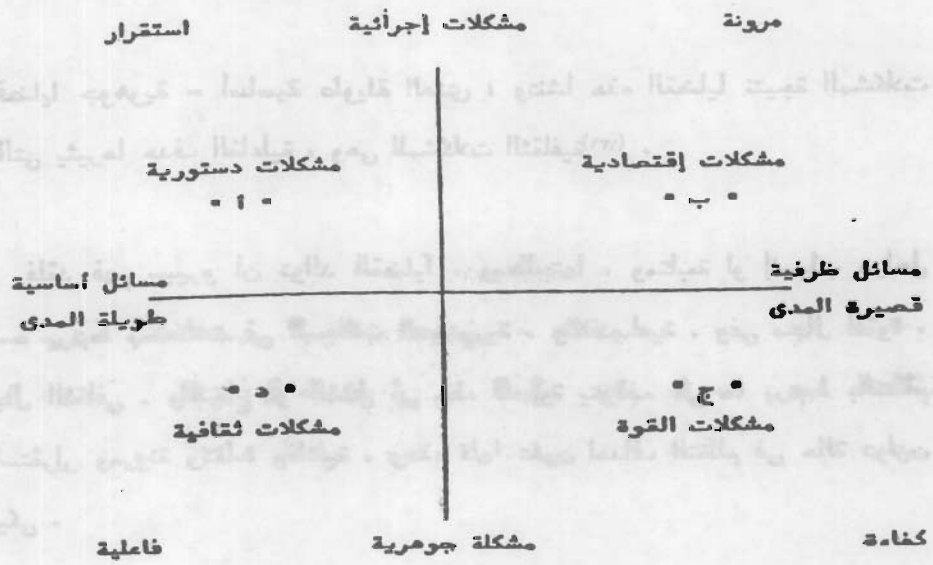

ففى كل نظام ، فإن بعض القضايا تنشأ ، وفق أربعة مجموعات على النحو الآتى :-

(١) قضايا إجرائية - أساسية طويلة المدى ، وتنشأ هذه القضايا نتيجة المشكلات التى يثيرها هدف الإستقرار ، وهى المشكلات الدستورية .

(٢) قضايا إجرائية - ظرفية قصيرة المدى ، وتتولد هذه القضايا نتيجة المشكلات التى يثيرها هدف المرونة ، أى المشكلات الاقتصادية فى المجتمعات الحديثة والآخذة فى النمو .

(٣) قضايا جوهرية - ظرفية قصيرة المدى ، وتنشأ نتيجة المشكلات التى يثيرها هدف الكفاءة ، وهى مشكلات القوة .

(٤) قضايا جوهرية - أساسية طويلة المدى ، وتنشأ هذه القضايا نتيجة المشكلات التى يثيرها هدف الفاعلية ، وهى المشكلات الثقافية(١٣١) .

فلقد فهم سبيرو أن توالد القضايا ، ومعالجتها ، ومتابعة أو إنسياب مراحل السياسة يرتبط بمشاكل فى البيئة الدستورية ، والاقتصادية ، وفى مجال القوة ، والمجال الثقافى . والنجاح أو الفشل فى حل القضايا يرتبط بما يرتبط بالنظام من استقرار ومرونة وكفاءة وفاعلية ، وهذه كلها تكون أهداف النظام فى حالة توازن ديناميكى .

فالنجاح النسبى للنظم السياسية ، أو للنظام السياسى فى مراحل مختلفة من تطوره ، يمكن الوقوف عليه ، بواسطة الدرجة التى يحرزها النظام فى ادارة ، واستمرارية ، توازن ديناميكى ، بين الأهداف الاربعة : الإستقرار ، والمرونة ، والكفاءة ، والفاعلية(١٣٢) .

والنظام السياسى المتوازن ، بدرجة أو بأخرى من درجات التوازن ، والذى يلتزم أعضاؤه بهدفه الاستقرار ، يثير عدد أكبر من القضايا المرتبطة بهدف الاستقرار ، ويكون النمط السياسى ، للنظام الفرعى الذى يمثله هؤلاء الأعضاء ، له طابع شرعى ، وعلى نحو مماثل تكون الإنماط السياسية للبراجمات ، والعنف ، والإيديولوجية وهو ما يوضحه الرسم التالى فى الأشكال أ ، ب ، ج على التوالى(١٣٣) :

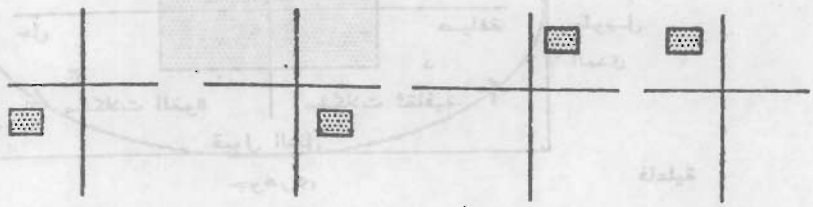

شكل أ — نظام فرعى نمطه السياسى الشرعية

شكل ب — نظام فرعى نمطة السياسى البرجماتية

شكل ج — نظام فرعى نمطه السياسى العنف

شكل د — نظام فرع نمطه السياسى الايديولوجية

ويمكن توضيح نموذج سبيرو الشامل للسياسة المقارنة فى الشكل الآتى :-

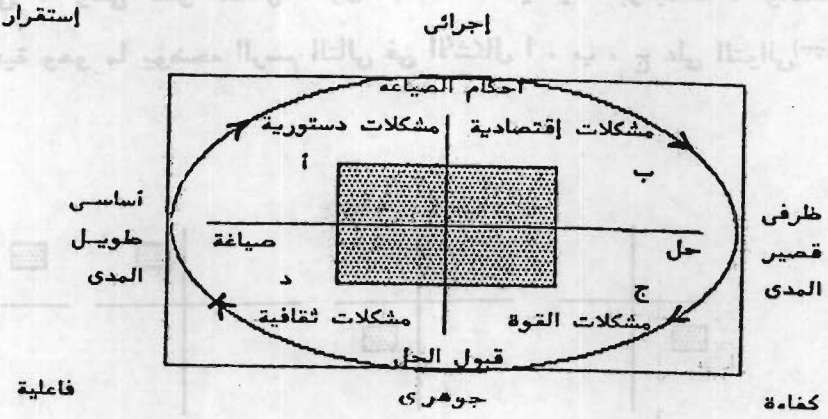

شكل بيانى للنظام فى حالة توازن ديناميكى

ويعتقد سبيرو فى أهمية هذا النموذج لما يرتبط به من مزايا ، أهمها :-

(١) انه يؤكد على نفس الجوانب فى أى نظامين أو اكثر من النظم السياسية يمكن مقارنتها .

(٢) إن اوجه التمايز بين النظم ، وفق هذا التصور ، لا يتطلب معالجة للجوانب الثقافية والاقتصادية والسياسية .

(٣) كما أن تقسيم الوظائف إلى فئات مستقلة يمكن ، وفق هذا النموذج ، تفاديه .

(٤) يمكن ان يطبق هذا النموذج على اى نظام سياسى ، مهما كان صغيراً او كبيراً ، متقدم او نامى .

اما عيوب هذا النموذج فقد توقعها سبيرو ، مسبقاً ، وتتلخص حول تعريف المجتمع ، ومعيار النظام السياسى الذى إستخدمه الكاتب ، وإهماله للمؤسسات السياسية كمؤسسات الرئاسة والبرلمانات والوزارات ، ودور الجماعات . كما اشار إلى انتقادات تتعلق بالعلاقة بين المجتمع والنظام السياسى ، فايهما له الأولوية ؟ هل المجتمع سابق على النظام السياسى فى المجتمع ؟ وتوقع تساؤلات حول المقارنة ، إذا تم قبول هذا النموذج ، وإمكانية إختلاف الباحثين حول طابع القضايا ، فهل تحمل قضية ما طابع العنف ، إم إنها ذات طابع براجماتى(١٣٥) ..

ويبدو ان اسبيرو قد عمد إلى المبالغة فى تبسيط الاختلافات بين النظم ، ولم يحاول ان يطبق محاولته بشكل نظامى على بيانات امبيريقية ، وقد لا توجد محاولات ، او كتابات ، حول هذه الامكانية ، الأمر الذى يجعل محاولة سبيرو مجرد مفاهيم سياسية مجرده حول النظم(١٣٦) .

ج - مورتن كابلن وتحليل النظم الدولية

هناك تطبيق آخر لنظرية النظم على السياسة الدولية ، قام به مورتن كابلن ، فى كتابه بعنوان " النظام والعملية ، فى السياسة الدولية "(١٣٧) والذى يشبه صياغة إيستون(١٣٨) . والفرضية التى يجعلها كابلن محوراً لكتابه هى ان " علم السياسة العلمى يمكن ان يتطور فقط عندما تجرى معالجة موضوعاته من خلال نظم للحركة "(١٣٩) ويقصد كابلن بنظام الحركة ، مجموعة من المتغيرات ترتبط فيها بينها ، وتتميز عن بيناتها ، ويمكن تحديد مظاهر للتماثل والتناسق السلوكى ، الذى يعد طابعاً مميزاً للعلاقات الداخلية للمتغيرات ، كل منها للآخر ، والعلاقات الخارجية ، لمجموعة من المتغيرات(١٤٠) .

وقد اشار كابلن إلى الاستقرار وعدم الاستقرار فى مناقشة تحول النظم ، وإفترض ان كل النظم تكون فى حالة توازن[١٤١] . وقام بتعيين حدود للنظام السياسى كجسد مكون من قواعد ، وحدد كابلن ستة انماط للنظم الدولية : هى نظام توازن القوى ، ونظام القطبية الثنائية المرن ، ونظام القطبية الثنائية الجامد ، والنظام العالمى ، والنظام التدرجى او الهيراركى ، ونظام الوحدة الاعتراضية[١٤٢] .

ويعتقد كابلن ان نظام الحركة هو مجموعة المتغيرات المترابطة ، والتى تصف الانتظامات السلوكية ، ويقصد بالانتظام العملية التى بواسطتها يحاول النظام الحفاظ على هويته ، والابقاء عليها عبر الزمن ، ومن خلال التكيف مع الظروف المتغيرة[١٤٣] فكل نظام له هويته ، ومن الضرورى وصف هذه الهوية فى الأوقات المختلفة ، بمعنى وصف الحالات المتتابعة للنظام ، والتغيرات التى تطرأ عليها[١٤٤] .

وقد تعرضت نظرية النظم فى السياسة الدولية لإنتقادات ، وجهت إلى اصول النظرية ، والتى ارتبطت بافكار مستعارة من كتابات علماء الأحياء ، وعلم إجتماع المعرفة ، وبالفلسفة الوضعية . كما ربطت هذه الانتقادات بين صياغة كابلن والكتابات المبكرة لديفيد إيستون .

وكان إيستون قد زعم ان اطار تحليله للنظم ممكن التطبيق على النظم الدولية ، لكن هذا الإدعاء تم تفنيده بواسطة دراسات عديدة[١٤٥] . وحاول البعض التمييز بين تحليل النظم ، ونظرية النظم ، على افتراض او تحليل النظم يرتبط بالتخطيط والبرمجة والميزانية كتكنيكات فى عملية صنع القرار للأداء الكفء للحكومة . أما نظرية النظم فإنها تمثل تجريداً للحقيقة ، وتحديدا للحدود ، وللنظم الفرعية ، وغيرها من مصطلحات إستخدامها إيستون وآخرون .

والحقيقة او صياغة كابلن للنظم فى السياسة الدولية ، والقواعد التى تعتبر

بمثابة متطلبات للنظم . اوجد تشابهاً بين مفهوم كابلن . الذى يقع ضمن نظرية النظم العامة . وبين المدرسة البنائية الوظيفية لبرسونز وآخرون . وهذه الصلة القريبة . والتشابه بين نظرية كابلن والتحليل البنائى الوظيفى جعل من الصعب تحديد اصول نظرية كابلن . وإن كان هذا لا يحول دون انتقاد النظرية ذاتها(١٤٦) . خصوصاً وان المجال مفتوح امام المزيد من الجهود(١٤٧) .

خاتمة

فى العقود الأخيره استخدم تحليل النظم ، بشكل متزايد ، وتداول واسع النطاق ، إلى درجة افقدت المصطلح الكثير من مضمونه ، وخصائصه وسماته الجوهريه (١٤٨) ، من هنا تجد دراسة تحليل النظم هدفها الأساسى ، وهو التوضيح والتفسير ، والرؤيه الانتقاديه الشامله ، وسبر امكانية الاستناد الى هذا التحليل فى التفسير ، والتنظيم ، وفى الفهم والتنبؤ .

والمصطلح له معانيه الدقيقه ، بدرجة أو بأخرى من درجات الدقه ، والاختلاف فى درجة الدقه قد يشوه المفهوم (١٤٩) ، وحاولت الدراسه توضيح المفاهيم والافتراضات التى يتضمنها اطار تحليل النظم ، والسمات والخصائص التى ترتبط بهذا الاطار .

لكن هل استطاع تحليل النظم ان يقدم "نظريه ديناميكيه" (١٥٠) ، تجعل البحث السياسى قادر على التنبؤ بحالات مستقبليه معينه ، انطلاقا من الحاله الحاضره المعطاه ؟

كانت انطلاقة تحليل النظم على يد ايستون ، لكنها لم تات من فراغ . فقد جاءت فى سياق تيار اخذ يتخذ له مسارا فى العلوم الاجتماعيه ، وفى علم السياسه ، من هنا نلمس المصادر الفكريه التى استند اليها ايستون فى اطاره ، وهى مصادر تجد اصولها داخل علم السياسه ذاته ، فى كتابات هارولد لا سويل وجورج كاتلن وشارلز مريم ، ومن خارج علم السياسه ، خصوصا تلكوت برسونز وعلماء آخرين فى علوم الاجتماع والاقتصاد والاحياء وغيرها .

لايمكن القول بنجاح ايستون فى بناء نظريه كامله محكمه ، موضع قبول واتفاق عام ، بين علماء السياسه ، او الباحثين فى حقل السياسه المقارنه ، لكنه نجح

فى صياغة اطار نظرى له اهميته ، وقوته التحليليه ، فى فترة كانت كتاباته فيها تمثل فتحا جديدا فى مجال البحث السياسى . ورغم كل ما وجه الى هذا الاطار من انتقاد ، واعتراضات ، فانه قد ايقظ انتباه علماء السياسه على طرق وفنات جديده للتحليل (١٥١) ، كالمدخلات والمخرجات والتغذيه الراجعه ، ومفهومه عن التخصيص السلطوى للقيم ، والذى اضحى يمثل اهميه مركزيه فى صياغته .

فرغم ما واجهته هذه الطرق والفنات ، واطار التحليل الجديد من انتقادات فقد فتحت الطريق امام نماذج جديده ، وامكانيات اضافيه للبحث السياسى وتمثل محاولة ايستون توفيقا ناجحا بين منهج ميكانيكى ومنهج بيولوجى ، وبين مهام "العلم الاساسى" وما تفرضه من تحليل امبيريقى ، وضرورات "العلم التطبيقى" وما تفرضه من ملاءمه .

وتمثل محاولة كارل دويتش اضافه واثراء ، له ابعاده وامكانياته ، فى البحث السياسى ، من خلال المفاهيم والافتراضات التى صاغها فى شكل جمع بين تحليلات سوسيولوجيه وبيولوجيه ، وعناصر للاتصال السياسى ، وكفاءة وانجاز النظام ، وتغيره فى رؤيه للسياسه باعتبارها نوعا من التوجيه او التسيير الذاتى ، وهى تحليلات وعناصر ورؤيه تحمل ، على الاقل جزئيا ، ملامح نموذج علمى فى طور التكوين (١٥٢) ، وان كان الاتصال مثل هذا النموذج فى حاجه الى جهد ومثابره ، والى بحوث ومناهج اضافيه (١٥٣) .

ويقدم سبيرو تصورا خاصا للنظام السياسى فى حالة توازن ديناميكى ، بين اهداف حددها فى اربعة :

١ - الاستقرار . ٢ - والمرونه . ٣ - الكفاءه . ٤ - الفاعليه . وانماط سياسيه لنظم فرعيه صاغها فى اربعة : ١ - الشرعيه . ٢ - البراجماتيه . ٣ - العنف . ٤ - الايديولوجيه (١٥٤) . والمشكلات تشكل عقبات فى طريق الاهداف ، وتثور بشانها الاختلافات ، وهى مشكلات دستوريه او اقتصاديه او سلطويه ، او

ثقافيه ، وتاخذ تتابعا في النظام السياسي من مراحل للصياغه ، واحكام الصياغه والحل والاعتراف بهذا الحل وقبوله .

ورغم الاهميه النظريه لهذا النموذج ، وامكانياته التحليليه ، فان محاولات تطبيقه بشكل نظامي لم تات بعد ، لتخرج هذا النموذج من كونه نموذجا لمفاهيم مجرده حول النظم ، الى امكانيات البحث الامبيريقي .

وجاءت محاولة كابلن ، لتشبه الى حدما ، محاولة ايستون ، لكنها ارتبطت اساسا بالنظم الدوليه ، بعد ان ثبت قصور اطار ايستون ، وعدم صحة ادعاءاته ، بامكانية تطبيقه على النظم الدوليه (١٥٥) .

هوامش البحث

(١) Morton H. Davies & Vaughan A. Lewis. Models of Political Sytems (Londan : Pall Mall Press, Ltd., 1971) PP.16-17 .

(٢) انظر :

David Easton. The Political System - An Inquiry into the state of Political Science (New york : Alfred A. knopf, 1953) P .97.

(٣) يعتقد ايستون ان النظريه فى علم السياسه تستخدم عادة للأشاره الى معنى مناقشة القيم السياسيه او الى فلسفة علم السياسه . وللتمييز بينها وبين المعانى الاخرى يطلق عليها : نظرية القيم . انظر : Ibid., P.52. .

(٤) يورد بعض الباحثين توضيحا لمراحل ثلاثه مرت بها جهود ايستون ، تبدأ بكتابه "النظام السياسى" (١٩٥٣) وتستمر من خلال كتاباته التى تناولت "اطارا للتحليل السياسى" ، "وتحليل النظم فى الحياه السياسيه" (١٩٦٥) . ويعتقد أن ايستون قد حاول اخيرا ان يحرك نظريته نحو موقف امبيريقى بدراسته : كيف ومتى يبدأ تاييد الطفل للسلطه السياسيه ، فى النظام السياسى ، الامريكى خصوصا . راجع تفصيلات ذلك فى :-

Ronald H. chilcote. Theoris of Comparative Politics : The Search for a Paradigm (Boulder, Colorado : Westview Press, Inc., 1981) PP.145-157 .

(٥) Ibid., P.146.

(٦) David Easton. The Potitical System-An Inquiry into the state of Political Sciece. Op.cit., Passim.

(٧) Ibid., PP. 129-134.

(٨) Ronald H. Chilcote. op.cit., P.147.

(٩) David Easton. The Political System-An Inquiry into the state of Political science. op.cit., p.128 .

(١٠) Ibid., PP. 131-132.

(١١) Ibid., P. 133.

(١٢) Ronald H. Chilcote, op.cit., P.147.

(١٣) Robert T. Holt & John M. Richardson, Jr. "Competing Paradigms in Comparative Politics". in : Robert T. Holt & John E. Turner (eds.) The Methodology of Cmparative Research (New york: The Free Press, 1970) P.42.

(١٤) Ibid., PP. 42-43.

(١٥) Ibid., P. 43 .

(١٦) Ibid., PP 41-42.

(١٧) Ibid., P. 42 .

(١٨) المصدر :- Michael G. Roskin et al. Political Science-An Introduction (Englewood Cliffs, New Jersey : Prentice- Hall, 1988) P.22.

Ronald H. Chilcote. op.cit., P. 147 Fred M. frohock. "Systems Theory and Structural- Functional Aralysis". in : D. M. Freeman (ed.) Foundation sf Political Science(New york: The free Press, 1977) PP.588-593.

(١٩) نشر كتابان لايستون فى عام ١٩٦٥ :-

-David Easton. A Framework For Political Analysis (Englewood Cliffs, New Jersey : Prentice-Hall, 1965)

- David Easton. A systems Analysis of Political Life (New york: John wiley & Sons, Inc., 1965)

ويشير الكتابان الى تبلور مرحله جديده متميزه فى افكاره .

(٣٠) يضيف ايستون اليها منظمة حلف شكمال الاطلنطى .

(٣١) انظر :-

Talcott Parsons. "The political Aspect of Social Structre and Process". in : David Easton (ed.) Varieties & Political Theory (Englewood cliffs, New Jersey: Prentice-Hall, Inc., 1966) PP. 71-112 esp. at PP. 96-103 .

(٣٢) لمزيد من التفصيل راجع : Ibid., PP.99-102

(٣٣) Ibid., PP.102-103 .

(٣٤) Ibid., P.103 .

(٣٥) المصدر : Ronald H. chicote, Op.cit., P. 149

(٣٦) راجع الطبعه الثانيه من كتاب :-

David A Systems Analysis & Political Life.

(New york: John Wiley &Sons, Inc., 1967).

حيث تناول هذا الكتاب فى الجزء الاول اسس التحليل النظريه PP.3-36 وفى الجزء الثانى المدخلات المطالب PP.37-152 وفى الجزء الثالث المدخلات التاييد PP.153-246 وفى الجزء الرابع الاستجابه للضغوط الواقعه على النظام . PP. 247-342

(٣٧) فاصبح اسم ايستون يرتبط عادة بمصطلح تحليل النظم . انظر :

Robert T. Holt & John M. Richardson, Jr. op. cit, P.41 .

(٣٨) انظر :-

Ronald H. Chilcote. op.cit., P.150 .

(٣٩) David Easton "The Current Meaning of Behavioralism in Political Science". in : Howard Ball & Thomas P. Lauth, Jr. (eds.) Changing Perspectives in Cantemporary Political Analysis (Englewood Cliffs, New jersey: Prentice-Hall, Inc., 1971) P. 103.

(٣٠) Ibid., P. 102 .

(٣١) Idem.

(٣٢) W. J. M. Machenzie. Politics and Social Science(Baltimore, Maryland : Penguin Books, 1967) P. 96 .

(٣٣) انظر :

Thomas J. Lewis "Parsons' and David Easton's Analysis of The support system". Canadian Journal of Political Sciece. Science. Vol. vii (December 1974) PP. 672-686.

حيث يناقش الكاتب مفاهيم التاييد للنظام لدى كل من ديفيد ايستون وتلكوت برسونز ، وعلاقتها بمفاهيم المساواه والاتفاق ، على النحو الذى تتضمنه الليبراليه الكلاسيكيه ، ويصل الى تلك النتيجه حيث يرى ان مفاهيم برسونز تعتبر ليبراليه ، بينما مفاهيم ايستون غير ليبراليه .

(٣٤) كذلك استند ايستون فى كتاباته الى اعمال كثير من علماء الاجتماع والانثربولوجيا ، يمكن ملاحظتها فى المراجع التى استندت اليها كتاباته ، امثال Malinowski , Radcliffe - Brown , Merton & Levy :

(٣٥) William C. Mitchell - "Politics of The Allocation oe Values : A Critique" Ethics. vol. LXXI No.2 (January 1961) PP.79-89 esp. at P.79 .

(٣٦) Ibid., P. 87

(٣٧) Ibid., P.88

(٣٨) Fred M. Frohock. op.cit., PP. 590-591 .

(٣٩) William C. Mitchell. op.cit., P.79.

(٤٠) Fred M. frohock. op.cit., P. 590.

(٤١) David Easton. A Systems Analysis of Politicol Life op.cit., P. 14

(٤٢) Ronald H. Chilcote, op.cit., PP. 151-152 .

(٤٣) Robert T. Holt & John M. Richardson, Jr. op.cit., P. 41 , P.45 .

(٤٤) John D. Astin. "Easton I and Easton II" _ The Western Political Quarterly vol. xxv. No.4 (December 1972) PP. 726-737.

(٤٥) ربما يجيب ايستون عن هذا السؤال راجع :

David Easton . The New Revolution in Political Science. The American Political Science Reuiew. vol. LXIII. No. 4 (December 1969) PP. 1051-10610

لكن آستين يشير الى الصعوبه فى هذا التوفيق بين العلم الاساسى Basic Scienco وضرورات الملاءمه التى تفرضها حركة ما بعد السلوكيه لدى ايستون راجع : John D. Astin, Ibid., P. 737

(٤٦) John D. Astin, Idem.

(٤٧) Idem.

(٤٨) وذلك وفق رأى Thomas L. Thorson كما ورد فى : Idem. .

(٤٩) وذلك ضمن اعمال اللجنه التى شكلتها جامعة شيكاغو فى الولايات المتحدة ، عام ١٩٥١ ، من علماء فى هذه العلوم ، لمناقشة مشكلات منهج النظم بشكل مكثف ، والجمع بين مختلف وجهات النظر فى تلك العلوم المختلفه انظر :-

Ronale H. Chilcote . op.cit., P. 152.

(٥٠) Idem.

(٥١) Ibid., P. 153.

(٥٢) Robert T. Holt & John M. Richardeson, Jr. op.cit., P.45.

(٥٣) Ibid., P. 43 .

(٥٤) Idem.

(٥٥) Ibid., PP. 43-44.

(٥٦) Ibid., P. 44.

(٥٧) Idem.

(٥٨) Idem.

(٥٩) I bid., PP. 44-45.

(٦٠) Ibid., P.45.

(٦١) Idem .

(٦٢) Ronald H. Chilcote. op.cit., P. 157.

(٦٣) Ibid., PP. 157-158.

(٦٤) Ibid., P. 158.

(٦٥) Idem.

(٦٦) Idem.

(٦٧) Ibid, PP. 158-159.

(٦٨) William C. Mitchell "The Shape of Political Theory to come: From Political; Socilogy to Political Economy" in: Seymour Martin Lipset (ed.) Politics and the Social sciences (New york : Oxford univ. Press, 1969) P. 105 .

(٦٩) Ibid., P. 107 . المصدر

(٧٠) Ibid., P. 108.

(٧١) Ibid., P. 108 . لمزيد من التفصيل راجع :

(٧٢) Idem : المصدر

(٧٣) Ronald H. Chilcote. op. cit., P. 159.

(٧٤) Idem.

(٧٥) Ibid., PP. 159-160.

(٧٦) Ibid., P. 160 .

(٧٧) John D. Astin. op.cit., P. 726 .

(٧٨) Ronald H. Chilcote op.cit., P. 160,P.161 .

(٧٩) Paul F. kress . "Self, System, and Signficance : Reflections on Professor Easton's Political Science" Ethics. vol. LXXVII No. 1 . (October 1966) PP. 1-13. esp. at. p. 11.

(٨٠) Ibid ., P.8.

(٨٢) انظر : Ibid., P.1.

ويحدد الكاتب مجموعتين من العناصر التحليليه التى تضمنتها كتابات ايستون : اولهما تتعلق بالنظام الكلى ، وثانيهما تتناول الوحدات المكونه له . لمزيد من التفصيل راجع : P.8 .

(٨٣) Ibid., PP. 1-2,P.12

(٨٤) لمزيد من التفصيل انظر : Ibid., P.12

(٨٥) انظر مثالا لهذه المناقشه فى :

Michael G. Roskin et al. op.cit., PP.21-23.

(٨٦) Ibid., P.23

(٨٧) المصدر : Ibid., P.24.

(٨٨) Ronald H. Chilcote. op.cit., P.161. .

(٨٩) Idem

(٩٠) David Easton . the New Rovlution in Political Science. op.cit.

(٩١) راجع :

Eugene F. Miller "David Easton's Politicol Theory" Political Science Reviewer vol. 1 (Fall 1971) PP. 184-235 .

حيث مراجعة تفصيليه ومتعمقه لكتابات ايستون الرئيسيه حول النظم من خلال مراحل : الاعداد والتكوين او البناء والتقييم ، محددا صعوبات منهج ايستون والمكانه النظريه التى تمثلها .

(٩٢) Ibid., P. 210.

(٩٣) Ibid., P.233.

(٩٤) من خلال التامل ، اكثر منه من خلال حقائق التجربه ، انظر :
Ronald H. Chilcolte op.cit ., P. 161.

(٩٥) Ibid., P.155.

(٩٦) انظر مثلا :
Robert T. Holt & John M. Richardson, Jr. op.cit., P.39

حيث يعتقد هولت وريتشارد سون ان ما يقدمه دويتش يمكن ان يؤدى الى نظريه متقدمه او نموذج كامل متقدم تماما .

(٩٧) Ronald H. Chilcote. -op.cit., P.155.

(٩٨) لعل اهم كتابات كارل دويتش التى تتضمن فكرته عن النظام العصبى ، وما يرتبط به من عمليات اتصال وتحكم او ضبط ، واستخدامه فى علم السياسه ، الكتاب الذى يحمل عنوان "اعصاب الحكومه : نماذج الضبط والاتصال السياسى" .
Karl W. Deutsch. The Nerves of Gocernment : Models of Political Communication and control (New york : The free Press of Glencoe 1963) .

(٩٩) انظر :
Peter Calvert. "Politics, Power and Revolution-An Introduction to Comparative Politics (London : Wheatsheaf Books Ltd., 1983) P.13.

(١٠٠) Robert T. Holt & John M. Richardson, Jr. op.cit., P. 39.

(١٠١) Karl W. Deutsch. The Nerves of Government : Models of political Communication and control, op.cit., P. 243 .

(١٠٢) Karl W. Dentsch. Politics ane Government: How People ecide Their Fate (Bo[illegible] Co. , 1974). PP 53-15

(١٠٣) Ibid., PP. 180-183 .

(١٠٤) Ibid., PP. 175-176.

(١٠٥) Ibid., PP. 146-148.

(١٠٦) Ibid., P. 160 .

(١٠٧) Ibid., P.161 .

(١٠٨) Ibid., P.162 .

(١٠٩) Ibid., P. 163 .

(١١٠) وقد أشار دويتش الى ان هذه التغيرات قد تكون عنيفه ثوريه ، كما قد تكون تدريجيه اصلاحيه . راجع : Ibid., PP. 163-164

ويشبه هذا التغير بالتغير فى الفرد الذى يجتاز مراحل الطفولة والشباب والبلوغ ما يطرأ عليه من تغييرات .

(١١١) Ibid., P. 165 .

(١١٢) Ibid., P. 166 .

(١١٣) يشبه ذلك دويتش بالحاسب الالى . انظر : Ibid., P. 177.

(١١٤) Idem.

(١١٥) Ibid., P. 178 .

(١١٦) Ibid., P, 181.

(١١٧) Ibid ., P. 230 .

(١١٨) Ibid., PP. 235-238.

(١١٩) Ibid., P. 249.

(١٢٠) Robert T. Holt & John M. Richardson ,Jr. op.cit., P. 39 .

(١٢١) Ronald H. Chilcote. op.cit., P. 156 .

(١٢٢) Robert T. Holt & John M. Richardson, Jr. op. cit., P.40 .

(١٢٣) انظر : Ibid., P. 41 .

وقد وجدت بعض محاولات لبلورة مجموعات من الافتراضات لعملية صنع القرار وفق نموذج سبرناتيقى ، وربطه بنموذجين اولهما معرفى او ادراكى ، والآخر تحليلى وهما مكملان للنموذج الاول راجع :

Robert Cutler. The Cybernetic Theory Reconsidered Michigan Journal of Political Science. vol . 1 . No.2 (Fall 1981) PP. 57-63.

(١٢٤) انظر : Robert T. Holt & John M. Richardosn. Jr. Ibid., P.40.

حيث يشير هولت وريتشارد سون الى ان التقديرات بشان تحليلات دويتش قد تجعل منها ضئيلة القيمة ، او بلا قيمة حقيقيه ، خصوصا وان نماذج دراسة السياسه المقارنه قد تاخذ اشكالا مختلفه تماما .

(١٢٥) انظر : Ronald H. Chilcote. op.cit. , P. 154.

(١٢٦) Idem

(١٢٧) Herbert J. Spiro. Comparative Politics : A Comprehensive Approach . The American Palitical Science Review. vol . Lxi No.3 (September 1962) PP. 577-595, esp. at P. 577 .

(١٢٨) يستخدم سبيرو مصطلح Community ليطبقه على الجماعات المختلفه ، كجماعات المصلحه ، الى جانب المجتمع ، انظر : Ibid., P. 590

(١٢٩) Ibid., P. 577

(١٣٠) Idem.

(١٣١) Idem.

(١٣٢) Ibid., P. 578 .

(١٣٣) Ibid., P. 579.

(١٣٤) المصدر : . Ibid., P.580

(١٣٥) للمزيد من التفصيل حول هذه الانتقادات مراجع : Ibid., PP. 589-590

وقد حاول سبيرو الرد على بعضها مسبقا ، فمعيار النظام السياسى فى رايه هو "مجتمع به عملية قضايا" بغض النظر عن نمط هذا المجتمع ، وبغض

النظر عن الفشل او النجاح فى محاولة حل مشاكله . اما الغاء دور المؤسسات فاشار الى ان هذا الالغاء مقصود ، لتجنب المقارنه الشكليه ، والمغلوطه ، مثلا بين الكونجرس الامريكى والبرلمان السويسرى .

(١٣٦) Ronald H, Chicote - op. cit., P. 155 .

(١٣٧) انظر :

Morton A. Kaplan - System and Process in International Politics (New york : John Wiley and sons, 1957) -

والذى يعتبر جهدا رائدا لتطبيق نظريه النظم على دراسة السياسه الدوليه .

(١٣٨) Ronald H. Chilcote - op.cit., P. 156 .

(١٣٩) Morton A. Kaplan. System and Process in International Politics. op.cit., P. 4.

(١٤٠) Idem.

(١٤١) عن التوازن التوازن الديناميكى فى مفهوم كابلن انظر : Ibid., PP. 5-8 .

(١٤٢) يعالجها فى الفصل السادس من كتابه : Ibid., PP. 21-52 .

(١٤٣) Ibid., P.4, P.88.

(١٤٤) لمزيد من التفصيل حول انماط التوازن ، فقد يكون مستقر او توازن سكونى ستاتيكى او توازن غير مستقر راجع :

Morton A. Kaplan. Macropolitics - Selected Essays on the Philosophy and Science of Politics (Chicago : Aldine publishing Co., 1969). PP. 58-62.

(١٤٥) انظر : Ronald H. Chilcote. op.cit., PP. 156-157 .

(١٤٦) Ibid., P. 157.

(١٤٧) اشار مورتن كابلن ، وديفيد سنجر الى الحاجه الى مزيد من الجهود ، والنظريات ، ونماذج التحليل فى العلاقات الدوليه . راجع :-

- Morton A. Kaplan. Problems of Theory Building and Theory Confirmation in International Politics. World Politics vol. XIV No.

1 (October 1961) PP. 6-24 esp. at P. 6, P.9.

- J. David Singer. the Level-of- Analysis Problem in International Relations World Politics vol. XIV No. 1 (October, 1961) PP. 77-92. esp. at PP. 78-80.

وتشير بعض الدراسات الى اهمية التشابه بين المجتمعات البدائيه ، والتى لديها نظما سياسيه ، كتلك التى يمثلها النظام السياسى الدولى . انظر :

Rorer D. Masters. World Politics as A Primitive Political System. World Politics. vol. XVI. No. 4 (July 1964) PP. 595-619 esP. at P. 597.

فيوضح الكاتب بعض اوجه الشبه ، كغياب الحكومه الرسميه التى لها قوة العقاب وتطبيق القانون ، والاستخدام الذاتى للعنف من قبل اعضاء النظام لفرض الالتزامات وتحقيق اهدافهم ، واستخدام الوحدات السياسيه لتلبية وظائف عديده فى النظام الاجتماعى العام .

(١٤٨) Amitai Etzoni. "Toward A Macrosociology : Elements of a Theory of Societal and Political Processes. in : D.M. Freeman (ed.) op. cit., PP. 607-641 . esp. at P.621 .

(١٤٩) Anatol Rapoport. "Some System Approaches to Political Theory ". in : David Easton (ed.) Varieties of Political Theary op. cit, P. 129

(١٥٠) Ibid., P. 130 .

(١٥١) Ronald H. Chilcote. op. cit., P. 157 .

(١٥٢) Robert T. Holt & John M. Richardson, Jr. op. cit., P. 39.

(١٥٣) Ibid., P. 40 .

(١٥٤) Herbert J. Spiro. op.cit., PP. 578-579.

(١٥٥) Ronald H. Chilcote. op. cit., PP. 156-157.